صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ص.ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

كانون الثاني

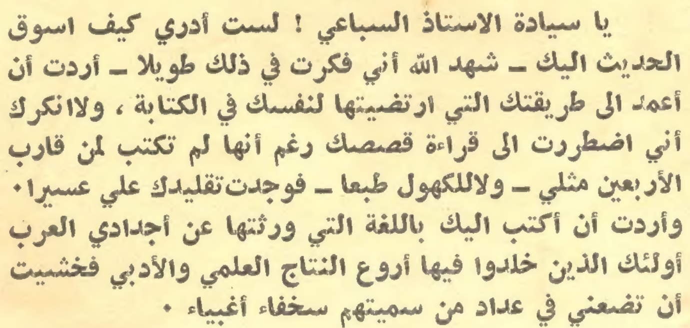
١٩٦٠

العدد الثامن

السنة الثانية

مرحبا يا سيادة السكرتير العام ...





يا سيادة الاستاذ السباعي ! لست أدري كيف اسوق الحديث اليك ـ شهد الله أني فكرت في ذلك طويلا ـ أردت أن أعمد الى طريقتك التي ارتضيتها لنفسك في الكتابة ، ولا انكرك أني اضطررت الى قراءة قصصك رغم أنها لم تكتب لمن قارب الأربعين مثلي ـ ولا للكهول طبعا ـ فوجدت تقليدك علي عسيرا . وأردت أن أكتب اليك باللغة التي ورثتها عن أجدادي العرب أولئك الذين خلدوا فيها أروع النتاج العلمي والأدبي فخشيت أن تضعني في عداد من سميتهم سخفاء أغبياء .

يا سيادة السكرتير العام ! في مرحلة البناء هذه التي نحياها اليوم والتي نتطلع فيها الى كل ما يربط أواصر هذه الامة ويشد من أزرها ويرفع من شأنها ، نتطلع الى تاريخنا لنكشف الحجاب عن جلاله وعظمته ، ونتطلع الى أدبنا ـ قديمه وحديثه ـ لنبرهن أننا أمة خلاقة مبدعة ، وننظر الى لغتنا الحبيبة نظرة الاجلال والاكبار لاعتقادنا أنها كانت من أقوى العوامل في توحيد الشعور بين الملايين العديدة ، نقدس من عمل من أجلها ومن يعمل ، ونكبر من كرسوا حياتهم المديدة في سبيلها ، في هذه الفترة ذاتها ومنذ أيام تطلع علينا صحيفة يومية بأسئلة أجبت عليها سيادتك بقولك :

١ ـ ان أبي لم يكن من علماء اللغة وانما كان متمكنا من اسلوبها شأنه في ذلك كشأن سائر أهل عصره .

٢ ـ ان كل من عمل في اللغة ومفرداتها كان غبيا .

٣ ـ وأنا اكتب كما أشاء ولا أريد أن اكون واحدا من هؤلاء الاغبياء .

٤ ـ ولو انتخبت عضوا للمجمع اللغوي لكانت هذه مهزلة كبرى تمر في حياتي .

يا سيادة السكرتير العام ! ثق أن من كرس حياته لهذه اللغة لم يكن غبيا أو سخيفا ، وثق أن هؤلاء العظام قد زرعوا ما حصدناه أنت وأنا ، ولتعتقد سيادتك أن والدك ـ طيب الله ثراه ـ ليس من العار عليه أن يكون متمكنا بلغة آبائه العرب ، عالما بأساليبهم ، حافظا لما أبدعوه . واذا كنت يا سيادة الاستاذ تعتقد أن في انتخابك عضوا للمجمع اللغوي مهزلة كبرى تمر في حياتك فاني لأرجو أن لاتقع هذه المهزله ، واعتقد ـ كما يعتقد الكثيرون ـ أنها لن تقع .

يا سيادة الاستاذ السباعي ! اسمح لي أن أقول لك : اكتب كما تشاء ، وبأية لغة تريد ، وبالاسلوب الذي تختار ، فان ذلك لن يضير لغتنا الكريمة شيئا ، فالقارىء العربي ـ اذا استثنينا من الناشئين من أولع بقصص الغرام ـ أصبح يقدر الاسلوب الأصيل يشفع الفكرة الاصيلة ، وأصبح يعتقد أن تكريم لغته والحفاظ عليها تكريم لقوميته وحفاظ على كيانه .

وأخيرا لا آخرا يا سيادة السكرتير العام ! لست أدري ما رأي جهابذة اللغة والأدب ـ بهذه الاجابات التي تفضلت بها ـ ممن انتظموا عقدا غاليا ليشكلوا المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ؟

مدحة عكاش

استثارة الوعي الاجتماعي
كوسيلة لعلاج المشاكل الاجتماعية

بقلم : حمد الرجيب
مدير عام دائرة الشؤون الاجتماعية في الكويت

بحث مقدم لحلقة الدراسات الاجتماعية السادسة المنعقدة في بنغازي بالمملكة الليبيــة المتحـدة في الفترة من ١٨ الى ٢٦ يوليــه ١٩٥٩

المشكلات الاجتماعية :

منذ عاش الانسان على هذه الارض وهو يكافح عناصر الطبيعة المحيطة به ليلائم بين تقلباتها ونظام حيــاته ، وليستخلص منها حاجاته ، وليشبع بها رغباته .. فهو لم يفعل منذ ازمانه الاولى اكثر من محاولات دائبة لحـل مشاكل معيشته على الارض وعلاقاته بغيره... وهذا الجهاد هو الذي كون التاريخ وهو الذي اعطاه مادته الخصبـة من المعارك والاحداث والمخترعات .. وكان كل نجاح للانسان في زيادة قبضته على قوى الطبيعة وعناصر البيئة نصرا حقيقيا ضد مشاكله الاجتماعية كالجريمة والفقر مثلا ـ وفي قليل كان هذا النصر عاملا من عوامل تخفيف هذه المشاكل ولو في المدى الطويل .

وقد اختلف العلماء في تعريف المشكلة الاجتماعية ـ فعرفها البعض بأنها سوء تكيف أو ســوء ملاءمة يصيب قطاعا كبيرا في المجتمع بشرط ان يكون الناس واعين بالمشكلة راغبين في العمل على التغلب عليها وعلاجها ـ ويرى البعض الآخر أن المشكلة الاجتماعية تنشأ نتيجـة لعدم قـدرة مجتمع معين على التخلص من عاداته البالية وتقاليده القديمة التي لا تساير أوضاع المجتمع الجديدة ونتيجة لمقاومـة الافراد والجماعات للعادات والقيم والتقاليد الجديدة التي



تحافظ على كيان المجتمع وتعمل على وحدته وتماسكه ـ ويرى البعض الآخر أن المشاكل الاجتماعية هي مواقف اجتماعية تتعلق بعدد كبير من أفراد وجماعات المجتمع وتلح عليهم الى الدرجة التي تدفعهم للسعي نحو علاجها علاجا جماعيا ـ ويرى فريق رابـع ان الهدف الــذي تسعى اليه المجتمعات هو اساسا رفاهية افرادها واشبــاع حاجاتهم الاساسية ، وانه على ضوء هذا الهدف يمكننـا ان نحدد وجوه النقص او العجز او المشكلات في حياة مجتمع معين .. باعتبار ان كل ما يؤخر وصول المجتمع

الى الرفاهية الاجتماعية المنشودة هو انحراف عن الطبيعي، اذا فهي مشكلة تحتاج الى البحث والتخطيط والعلاج •

ومن هنا تبين أن المشاكل الاجتماعية هي صعوبات أو عقبات تعترض طريق المجتمعات – أفرادا وجماعات لتحقيق مصالحهم واشباع حاجاتهم المادية والروحية وتحقيق ذواتهم سواء كانت اسبابها تتعلق بالبيئة المادية للمجتمع أو بطبيعة الشعب ذاته أو تكوينه أو اتجاهاته أو توزيعه الجغرافي ، أو تتعلق بتنظيمه الاجتماعي وعاداته وتقاليده وقيمه ونظمه الاقتصادية والسياسية وغيرها •

ولا شك ان كمية وطبيعة المشاكل الاجتماعية في مجتمع ما تختلف من وقت لآخر – كما انها تختلف داخل المجتمع من مكان لآخر (المدينة والريف والصحراء) كما تختلف باختلاف الطور الحضاري الذي يمر به المجتمع خلال تطوره – ومجتمعنا العربي يمر بمشاكل تختلف في طبيعتها عن مشاكله في عهود ماضية ، كما تختلف من حيث نوعها وتعلقها بالقطاعات المختلفة من ابناء الوطن – وترتبط هذه المشاكل ارتباطا واضحا بالتطور الحضاري الذي تمر به البلاد العربية خلال عصرنا هذا كما ترتبط هذه المشكلات بالتغير الذي طرأ على نظمنا الاقتصادية والتعليمية ونظم الحكم والسياسة ، والتغير في عاداتنا وتقاليدنا ومفاهيمنا وقيمنا وتنظيمنا الاجتماعي وأخذنا باسباب الحضارة الحديثة والتصنيع – والملحوظ أن هذا التغيير الذي تمر به كل البلاد العربية يتم فيها بنسب متفاوتة ليس فقط بالنسبة لمختلف وجوه حياتنا داخل كل جزء من الوطن العربي ، ولكن ايضا تختلف نسب التغير بين قطاعات وطبقات المجتمع الواحد الاقليمي – الامر الذي يتسبب في خلق مناطق خطرة ونقط ضعف وتوتر وما يجره هذا من مشاكل اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية وترويحية •

فمن الناحية الاقتصادية مثلا نجد ان هناك تزايدا في السكان في بعض البلاد العربية بنسبة تفوق مواردها الطبيعية بينما يشكو البعض الآخر من قلة الايدي العاملة بالرغم من استغلال الموارد الطبيعية فيها الاستغلال الامثل – الامر الذي استتبع انخفاض مستوى دخل الفرد العربي في شتى اقطاره وانخفاض هذا المستوى له أثر سيىء على المستويات الصحية والتعليمية والانتاجية وغيرها •

ومن الناحية الاجتماعية نجد أن تغيرا قد طرأ على طبيعة الروابط العائلية من حيث تفتت الاسر الكبيرة وازدياد نسبة الطلاق وتشرد الاحداث وجنوحهم ، كما ازداد عدد المتسولين واللقطاء – وزاد على ذلك ان البيت العربي فقد كثيرا من وظائفه التربوية الاساسية في حين أن المؤسسات الاجتماعية التي تقوم على رعايته ورعاية افراده ما زالت متخلفة عن أن تؤدي واجبها كاملا – وهناك التغيير الذي اصاب بعض عاداتنا وتقاليدنا التي كانت تعمل على تماسك المجتمع ووحدته وهناك من جهة أخرى ظاهرة التمسك ببعض العادات والتقاليد التي تعتبر حجر عثرة في طريق نهضتنا وتطورنا •

الوعي الاجتماعي كوسيلة لعلاج المشاكل الاجتماعية :

ولكن ماهو الوعي الاجتماعي ؟ وكيف نثيره ؟ وماهي البيئات التي يعيش ويترعرع فيها ليخدم مصالح المجتمع ويحل مشاكله ؟

الوعي الاجتماعي هو اتجاه الناس بالنسبة لموضوع معين • واتجاه الناس هو رد الفعل الذي يظهر عليهم أو الطريقة التي يواجهون بها احداثا معينة •• أي أن الوعي الاجتماعي هو الرأي العام ، ويمكن تعريف الرأي العام بأنه استجابات متقاربة لعدد كبير من افراد وجماعات المجتمع نتيجة لوجود مشكلة معينة تقابل المجتمع أو حاجة يحتاجها – فحينما يعبر الشخص عن رأيه واتجاهه في موضوع ما ، فانه في الواقع يستجيب لمؤثرات معقده في المجتمع الذي يعيش فيه – ونفس هذا المجتمع بدوره يستوحي اتجاهاته من اسلافه وعاداتهم وقيمهم وتقاليدهم – بمعنى انه كانت هناك مؤثرات أو احداث في الماضي كان من نتيجتها اتخاذ الناس لرد فعل معين ثبت نجاحه في مواجهة هذه الاحداث او المشكلات ، فأصبحت هذه الاستجابة بمرور الزمن جزءا من الشخصية الاجتماعية للافراد – فاذا عاد هذا الحدث أو واجه المجتمع تلك

المشكلة مرة أخرى كان رد الفعل قد اصبح أقرب الى العادة وتبلور رأي عام ذو استجابات متقاربة تجـــاه المشكلة ٠

ومن هنا ندرك أهمية التراث الحضاري للشعوب ، وهو مجموع القيم والعادات والتقاليـــد التي يشترك في الايمان بها الكبار لانها تساعدهم على التكيف ليس فقط في بيئتهم المادية ولكن أيضا في علاقتهم مع بعضهم البعض ـ ويحاولون أن يورثوها لأولادهم من بعدهم ٠

اذا فالوعي الاجتماعي أو الرأي العام هو في الواقـع جزء من التراث الحضاري لأيّ مجتمع وهو لهذا يتأثر به ويؤثر فيه ـ ويترتب على هذا اننا يمكننا أن نفسر اتجاهات الرأي العام بدراسة التراث الحضاري للمجتمع خصوصا اذا تناولت دراستنا هذه دور القادة الذين تعاقبوا عليـه والاحداث التي مرت به وتركت اثارها فيه والطرق التي ينتقل بها هذا التراث من جيل الى جيل ٠

فاذا انتقلنا للبحث عن العناصر التي تكونه لاتضـــح لنا أن الرأي العام لا يمثل بالضرورة الاجماع العام في موضوع معين ، كما انه ليس بالضرورة ايضا رأي الغالبية المطلقة لافراد المجتمع ـ ولكنه يتكون من خليط مشترك يكون اتجاها في المجتمع نتيجة للقوة النسبية لوجهة النظر التي تتغلب على المعارضات والآراء الاخرى ٠ ومن الطبيعي ان اللغة ومدلول كلماتها هي وسيلة التعبير عن وجهات النظر المتعارضة ـ فكلما كان مدلول الكلام واضحا متفقا عليه ، كلما كان ذلك حافزا على تبادل وجهـــات النظر ومشاركة الناس لخبرات بعضهم البعض والاتفاق عـلى خطة موحدة ٠٠ وهذا أساس هام في الخصوص في الوطن العربي من حيث وجوب محاربة سيطرة اللهجات المحلية على وسائل الاعلام والعمل على سيادة اللغة العربية الفصحى الميسرة باعتبار انها وسيلة فعالة لتوحيد المدلولات والمفاهيم بين أبناء الوطن العربي في شتى بقاعه مع ما في هذا من تسهيل لتكوين رأي عام موحد ٠

ولا شك أن توحيد الرأي العام يستوجب أيضا حرية المناقشة والادلاء بوجهات النظر المختلفة واستعداد الجماعات للتنازل عن بعض آرائهم المتطرفة أو العاطفية نتيجة المشاركة الجماعية من خبرات وتغليب وجوه النظر التي تخدم أغراض المجتمع وتماسكه ٠

ومن المعروف أن الرأي العام يتكون من صنفين من الناس ٠ جماعات ذات منفعة خاصة ، وجماعات تقف موقف المتفرج من الاحداث ، وغالبا ما تلعب جماعات المنفعة دورا هاما في تحريك الرأي العام واستثارة وعيه بخلق أحداث مثيرة أو اثارة المشاكل التي يتغافل عنها ـ ولما كان لهذه الجماعات منفعة خاصة في اثارة المشكلة أو خلق الحادث فانها بالتالي تحاول أن تكسب الى جانبها الفئات التي لا تهمها المشكلة أهميـــة خاصة ولا تمس مصالحها مساسا مباشرا ـ الامر الذي يضع جماعـــات المتفرجين في موقف استراتيجي هام يغلب اتجاها على اتجاه ـ ومن هنا جاءت النظرة التشاؤمية من بعض العلماء فيما يختص بدور الجماعات ذات المنفعة الخاصة من حيث أن هذه الجماعات قد تلجأ ، في سبيل اكتساب الانصار ، الى اخفاء بعض الحقائق أو تشويهها ، وفي هذا تضليل للرأي العام ٠ ومن الطبيعي أن هذا جائز الحدوث في المجتمعات التي لا تتوفر فيهـــا حرية التفاعل المتبادل والمناقشة وابداء وجهات النظر ـ لان من شأن هذه الحرية أن تظهر المستتر وتصحح المشوه بما يفوت على المنتفعين أغراضهم ، ولذا كان من الضروري توفر وسائل الاعلام والاتصال بين الناس وسهولة استعمالها ، اذ كلما كانت هـــذه الوسائل من صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما واجتماعات عامة ـ سهلة ميسرة مرنة ، كلما اتخذ اتجاه الرأي العام طابع الجد والتعقل والاتزان ، وبالعكس اذا فقدت هذه الوسائل جزءا من حريتها ومرونتها وسهولة استعمالها سادت النزعات التعصبية أو الطائفية ٠

وعلينا هنا أن نفرق بين الدعاية وبين حرية المناقشة اذ غالبا ما يختلطان في مفهوم الناس فالدعاية هي نوع من الجهد المنظم المقصود به التأثير على الرأي العام وحمله على تبني قيم أو عواطف أو اتجاهات معينة ـ ولذا فان الدعاية تحاول أن تصل الى نتائجها عن طريق التأثير

العاطفي على الناس من حيث أنها بوسائلها المتعددة توحي بالحلول باعتبارها حلولا طبيعيـة ومنطقيـة وصحية • ويستتبع ذلك أنها تحارب المناقشة وابداء الرأي لانها ترى فيها تبديدا للقوى وتعطيلا لاتخاذ الخطوات المرسومة وهي لذلك تختلف أساسا عما تقصده من الرأي العام الذي يتكون نتيجة للاقتناع الاختياري • ومن رأينا أن حرية المناقشة وابداء الآراء وتقليب وجهات النظر الموصول الى الحلول السليمة من شأنه أن يضفي على الاتجاهات العامة في الرأي العام رداء منطقيا متعقلا واعيا — ولا نظن أن فرض الآراء محاولة ترسيبها في عقول الجماعات من جانب فئة معينة أو جماعة خاصة يكون ذا أثر فعال حينما تحل بالمجتمع الاحداث المفاجئة أو القضايا التي تتطلب العلاج السريع والمواجهة العاجلة — فحينئذ تتبدد الجهود وتعصف بالمجتمع الاشاعات ويتخبط الناس بين الحلول المتعددة لانهم لم يدربوا على التوافق الاداري الاختياري وتبادل وجهات النظر وتبني الحلول المتعلقـة المتكاملة المستنيرة •

كيفية اثارة الوعي الاجتماعي :

تتم اثارة الوعي الاجتماعي عن طريقين أحدهما اخباري لتعريف أفراد المجتمع بأنواع المشاكل التي يعانيهـا مجتمعهم وأسبابها الحقيقية والجهود التي تبذل لحلها ، وثانيهما ربطهم كأفراد بهذه المشاكل وحثهم على العمل في النطاق الفردي والجماعي على مواجهتها وبذلك يتم التفاعل وتتضح صورة المشكلة في عقول الافراد ثم تبدأ عملية تهيئة الفرص أمام الافراد للعمل الجماعي على مقابلـة مشاكلهم والسعي في حلها — اذا فالعملية تأخـذ طابع المراحل المتعاقبة وأولها الشعور بالمشكلة ثم فهم طبيعتها وجمع المعلومات المتعلقة بها ويستتبع ذلك وضع الخطة ومناقشتها وتقليب الرأي فيها والاتفاق على جوانبها المتعددة ثم يبدأ العمل الجماعي المشترك •

ولا شك أن وسائل الاعلام تقوم بدور هام ذي أثر فعال ليس فقط من الناحية الاخبارية ولكن أيضا في الحث على العمل والتفكير والمبادءة • وسنورد فيما يلي بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ — الاجتماعات والمناقشات العامة والندوات الثقافية:

من أنجح طرق استثارة الوعي الاجتماعي اشتراك الافراد والجماعات في التعرف على مشاكلهم وتفهمهـا باعتبارهم المعنيين بالنتائج عن طريق تنظيم الاجتماعات والمناقشات العامة التي تثار فيها المواضيع والمشكلات التي تتعلق بحياتهم • الا أنه يجب عند تنظيم مثل هـــذه المناقشات والاجتماعات والندوات الثقافية مراعاة المستوى الثقـافي والعلمي للحاضرين ويستحسن تقسيمهم الى جماعات متجانسة بحيث يسهل ادارة المناقشات بينهم ، وبحيث يمكن الاستمرار فيهـا على مستوى موحد كما يستحسن أن تكون بعيدة عن الوسائل التقليدية من حيث الخطب الرنانة واستعمال اللغة الكلاسيكية •

٢ — السينما والمسرح :

السينما والمسرح من الوسائل التي يمكن بواسطتها استثارة الوعي الاجتمـاعي — فمشكلات البيت العربي مشكلات حيوية يمكن تصويرها في أفلام أو اخراجها في شكل تمثيليات وهي بهذه الطريقة أكثر رسوخا في الذهن وأعمق أثرا في التأثير لانها تلبس لباس الواقع وتوحي بالحلول العملية • اذ أنه من الملاحظ أن معظم الافلام العربية والمسرحيات لا تعالج مثل هذه المشاكل بل انها لا تعالج موضوعا بذاته • ويا حبذا لو استطاعت السينما العربية والمسرح العربي أن تتجه اتجاها جديدا في انتاجها فتنتج الافلام السينمائية والمسرحيات الاجتماعية التي تعالج مشاكلنا المختلفة وتستمد مادتها من واقع الحياة الفعلية •

٣ — الاذاعة :

تستطيع الاذاعة أن تقوم بدور كبير في استثارة الوعي الاجتماعي لما لها من أثر فعال في تكوين الرأي العـام وتوحيد اتجاهات الافراد والجماعات لانها تخاطب كل طبقة بطريقتها ، فهي تخاطب الغني والفقيـر والموظف والعامل والتاجر والمزارع • وبرامج الاذاعة منوعة متعددة من أحاديث يلقيها الاجتماعيون والاقتصاديون وعلمـاء النفس والاطباء وغيرهم من المختصين كما تقوم الندوات

والتمثيليات القصيرة التي تعالج مشاكل معينة ومن المستحسن عند تنظيم مثل هذه البرامج مراعاة الاوقات والمناسبة ليستفيد بتوجيهاتها أكبر عدد ممكن •

٤ ـ دور المدرسة في استثارة الوعي الاجتماعي :

تؤدي المدرسة دورا هاما في حياة أمتنا العربية بما تقوم عليه من اعداد لجيل الآباء والامهات وتهيئة الجيل الجديد من الشباب الذي سيتحمل مسؤولية النهوض ببلادنا العربية • والمدرسة في تربيتها لهذا الجيل انما تقوم بدور فعال في استثارة الوعي عن طريق تبصير التلاميذ والتلميذات بمشاكل البيت العربي وتوجيههم لخير الطرق لعلاجها ولا يقتصر دور المدرسة على استثارة وعي الطلبة وانما تقوم بدور كبير لاستثارة الوعي بين الآباء والامهات باشراكهم ودعوتهم لاجتماعات في المدرسة تعرض عليهم فيها أهم ما يصادفونه من صعوبات في تربية أولادهم وأسبابها وخير الطرق لحلها كما تنظم الاحاديث مع الآباء والامهات وتبحث عن مشاكل الاسرة بما يبصر المسؤولين عن الاسرة العربية والبيت العربي ومشاكله •

٥ ـ مؤسسات التوجيه الاسري :

تقوم مؤسسات التوجيه الاسرى بمعاونة أفراد الاسرة على معالجة مشاكلهم المختلفة وتنظيم علاقاتهم على معالجة اخصائيين فنيين يدركون طبيعة مشاكل البيت العربي وأسبابها فعن طريق هؤلاء يمكن تبصير أفراد الاسرة والقائمين عليها بمشاكلهم واستثارة وعيهم وارشادهم الى خير الطرق للاعتماد على أنفسهم في حلها ومواجهتها •

٦ ـ الكتب والنشرات والملصقات :

اصدار الكتب والنشرات والملصقات التي تعالج مشكلات البيت العربي وتوجه النظر لها وسيلة من وسائل استثارة الوعي الاجتماعي ، الا أنه يجب مراعاة سهولة التعبير وتبسيط المشكلات دون التعرض الى النظريات المختلفة التي لا يستطيع تفهمها الا المتخصص أو المثقف بحيث يمكن ادراكها بمجرد النظر اليها •

٧ ـ الصحف والمجلات :

تقوم الصحف والمجلات بدورها في استثارة الوعي الاجتماعي بأن تخصص مقالات يومية أو أسبوعية أو شهرية عن بعض هذه المشكلات وتثيرها عن طريق التحقيقات الصحفية والاستفتاءات العامة وميزة الصحف أن عددا كبيرا من أفراد البيت العربي يتداولونها ، كما انها تمتاز بسهولة لغتها ومخاطبتها لعقول الافراد ووجدانهم مباشرة وامكان العودة اليها للتمعن في قراءتها ولذا كان تشجيع الصحف على تبني هذه المشكلات واثارتها وسيلة هامة من وسائل اثارة الوعي الاجتماعي •

٨ ـ أماكن العبادة :

يتردد عدد كبير من أفراد البيت العربي على المساجد والكنائس لتأدية الشعائر الدينية وأماكن العبادة هذه يمكن استغلالها استغلالا طيبا في استثارة الوعي الاجتماعي لما للخطب رجال الدين وتوجيهاتهم من أثر كبير على أفراد مجتمعنا العربي الذي يتصف بالتدين ولذا فيا حبذا لو كانت تلك الخطب متعلقة بمشاكل الحياة اليومية ومشاكل العلاقات في الاسرة •

ولا شك أن هذه الوسائل تختلف من حيث أهميتها ودرجة تأثيرها بالنسبة لمختلف المشاكل التي تختلف بالنسبة للقطاعات المختلفة التي تعاملها في المجتمع ـ الا أن لكل منها أثره الفعال في تهيئة الفرص المناسبة للحث على التعاون وخدمة النفس وتبني الطرق الحديثة في المعيشة واستغلال رغبة الناس الدفينة في اصلاح أحوالهم عن طريق اشتراكهم في التعرف على مشاكلهم والاتفاق على حلولها والمبادأة في مواجهتها •

حمد الرجيب

التفكير الواقعي

بقلم : سليم بركات

يستطيع الانسان اذا أجاد البحث والمقارنة بين جملة المذاهب والفلسفات التي حفل بها تاريخ الفكر منذ بدأ الناس ينتجون أفكارا ويدونون مذاهب وحتى مطلع عصر النهضة الفكرية والصناعية والاجتماعية الحديثة – وبين جملة المذاهب والفلسفات التي يمتاز بها العصر الحديث وخاصة في البلدان التي نبعت منها النهضة الحديثة وتجسدت في كتابات فلاسفتها ومفكريها. يستطيع الانسان اذا قارن بين هذه المذاهب وتلك ، أن يصل الى نتيجة تختصر في أن فلسفات الماضي وجهود المفكرين والعلماء كانت تتجه في مجملها اتجاها ينطوي على ازدراء الواقع الاجتماعي والمصلحة الانسانية العملية ويهب القدر الاسمى والاساسي من الاهتمام والجهد للمسائل النظرية أو الروحية التي يحسبون لها قيمة مطلقة عن حدود البشر وقيود الزمان والمكان ، ولم يكن تناول المسائل الواقعية العملية الا نتيجة لحكم بعض الظروف العملية الملزمة التي تفرض حدا أدنى من تناول هذه المسائل ونتيجة لاداء الامور المطلقة نفسها أحيانا الى مساس الموضوعات المتصلة بواقع الحياة وظواهر الطبيعة .

بينما تتجه أفكار العصر الحديث في حقلي العلم والفلسفة نفسها الى بحث القضايا المتواضعة القريبة وكأن رجال الفكر أصبحوا يعترفون صراحة أو ضمنا بأن مهمتهم لا تعدو خدمة الكائن الانساني في هذا العالم الدنيوي وتقديم الحلول لطوائف المشكلات التي تحفل بها حياة الأفراد والمجتمعات .

وقد يبدو لي أننا نحن الشرقيين الذين ما زلنا بالنسبة لهذا التحول في تحديد مهمة الفكر وغاياته نعاني آثارا ثقيلة مزعجة من رواسب العصور الماضية ولم نتخلص بعد من كثير من التصورات والميول العقلية التي تجعلنا نتجه نحو المطلق والنظري بل نحو الاسطورة والخيال – يبدو لي أننا بحاجة ملحة الى تعرف هذا التحول الذي ميز الفكر الحديث والى تحديد موقف الفكر الشرقي بالنسبة اليه كي نستغل طاقتنا الروحية استغلالا لا يذهب بنتاجها عبثا وانما يجعله أساسا متينا لقيام الحضارة الباذخة التي نجتهد لاقامتها في بلادنا .

* * *

لقد بقي الباحثون قرونا طويلة يدرسون النفس الانسانية وهل هي خالدة أم بائدة وهل هي جوهر مستقل منفصل عن الجسد أم هي عرض تابع له وهل النفس هي الروح وهل هي العقل وهل هي الحياة . وكل ما بحثوه واختصموا فيه مضى دون أن يتقدم واحد منهم قيد أنملة عن حدود الفروض المحضة . أستغفر الله انني أقول الفروض وأنا أحس أن الفروض تعني السير الهادي الحكيم نحو تفسير ظاهرة يحسها المرء ويمضي في سبيل ادراكها في حين أن أولئك الناس لم يكن في أذهانهم سوى الظنون والخيالات التي لا تبدأ من شيء ولا تنتهي الى شيء .

حتى اذا ما اقتصر الباحثون على دراسة السلوك والظواهر النفسية أنتجوا للجماعة الانسانية كثيرا مما ينفعها ويخفف من مصاعب حياتها ومشاكلها .

وطفق الباحثون كذلك قرونا طويلة يدرسون المادة والنجوم بل والكون والوجود وهم يبتغون أن يجيبوا على ما هو ولماذا ومن أجل ماذا والى أين وهل بقوته أم بقوة سواه ... دون أن يستطيعوا الوصول الى كلمة الفصل أو غير الفصل في وقت من الاوقات ودون أن ينتخبوا

شيئا غير العبث الجليل والاوهام المكثفة المبوبة • حتى اذا ما اتجهوا لدراسة امكانيات المادة وخواصها الظاهرة وليبحثوها في مجال سلوكها الفعلي كما يرونه ويحسونه وصلوا الى أجل النتائج وأكبر الغايات •

لا مانع من أن نعترف بأن الاطوار الاولى كانت منطقية مع نفسها فيما يوجهها من اعتبارات اجتماعية واقتصادية وما كان يرافقها من امكانيات علمية ولا مانع كذلك من أن نحاول الابقاء على هذه الجوانب الفلسفية كنواح تستثير تأمل الباحثين الفينة بعد الفينة وتكون مبعثا لبعض التأملات والبحوث وفق أسس معقولة منتجة لكن ما نجد منه أكبر الموانع هو أن نعتقد بأفضلية هذا الذي لا فضل فيه وضرورة ما تقضي الضرورة بغيره ثم نغلق أنفسنا عليه ونحاول أن نتجاهل ما تقضي حضارتنا وبقاؤنا نفسه على الارض ـ بأن نعلمه وندرسه وننفق الوقت والجهد بقدر ما يتسعان لدراسة نواح أعرض العقلاء جميعا عنها وتركوا لها من همهم هذا الجانب الذي يترك لامور التسلية وقضاء وقت الفراغ •

ان تراكم الانظمة الفلسفية التي تواردت خلال عصور التاريخ وكل واحد منها يتضمن من قوة الاحتمال نفس ما تتضمنه الانظمة الاخرى ويقوم في تكوينه على أساس ما تدفعه الميول النفسية والتأثيرات العاطفية في نفس المفكر أكثر بكثير مما يقوم على طاقة القضايا أو مقتضيات الامور ويكون اقتناع المتعلم بواحد منها أو سواه ناتجا عن عوامل أبعدها حصولا هو التلاقي في المنهج الحر والبحث المستقل وأكثرها وقوعا هو ما كان آتيا عن مجرد سبق ما اقتنع به وتأصله في نفسه قبل سواه أو عن كون استاذه أو أبيه أو من يحيطون به كانوا يمثلون هذا النظام وما يشبه ذلك من العوامل والاسباب غير الحرة ••• هذا التراكم الذي لم ترافقه امكانية صحيحة للتمييز والانتقاء الواضحين ولا للانتفاع والاستفادة بصورة جدية منتجة ـ قد أدى الى هبوط قيمة هذه الانظمة واستخفاف الاجيال بها لاسيما بعد الذي حققته العلوم التجريبية من تقدم مفيد رائع في زمن قليل بقيت معه النواحي الفلسفية مستمرة في تخبطها وسيرها العشوائي الى غير ما نهاية •

* * *

كان الانقسام الطبقي في العصور السابقة ووجود طبقة ممتازة تتوفر لها أسباب الحياة المزودة بكل وسائل النعيم والترف فضلا عن الحاجات والضرورات ـ كان هذا عاملا أساسيا ـ الى جانب عوامل أخرى بطبيعة الحال ـ في أن العلم لم تكن تنظر له هذه الطبقة القائمة على أمر السياسة وتوجيه القضايا العامة ، على أنه بالدرجة الاولى وسيلة لخدمة الحياة الجماعية وانما كانت تراه أو كانت ترى ما تدعوه هي بالعلم ، شيئا يفرضه التسلي والتمتع في ساعات الفراغ أو ندوات الليل لمجرد اللذة العقلية • واذن فلا شيء منه يدعو لدراسة النبات والحيوان والمادة دراسة الجهد والعناء لأن هذه النواحي تتصل بأعمال حاصلة ميسورة يقوم على أمرها فريق آخر من المجتمع خلق أهلوه لها كما خلقت هي لهم ولا يصح أن يخوض الانسان فيما خلق غيره له من دونه •

وكما أن الغذاء المكلف بابقاء الحياة وحفظ الكائن الحي يتحول لدى المترفين الى فساد واعياء وتدمير للكيان الحي • وأن الدفاع عن النفس يتحول لدى منحرفي النفوس تائهي الحياة الى تسل بالقتل والتدمير • وأن الغريزة المكلفة بابقاء النوع تتحول لديهم أيضا الى مفهوم كله شذوذ واستهتار يتناقض مع هذا الهدف • كذلك فان البحث العقلي الذي يطلب منه قبل كل شيء درس مجال الحياة ومعرفة ما في البيئة الطبيعية والاجتماعية من امكانيات تستغل وأخطار تمنع ، هذا البحث نفسه يتحول في ظل البطالة والترف الى درس عقيم لما لاوجود له ولما لانفع فيه وكلما كان الشيء أعرق في الاستحالة اعتبر أعظم أهمية وكلما كان النظام أبعد في الغموض والنأي عن المعقول نظر اليه على أنه أكبر منزلة وكلما كان الموضوع عاريا عن الفائدة حشر في صنف المسائل المقدسة العليا وكان أقرب الى ارضاء العقول المنحرفة التي فارقت مجال حياة الفرد السوي وحياة الجماعة وفارقت كل نافع مفيد •

* * *

ومن الواضح أن تأثر الحياة العقلية والنظم التربوية بسلطان أحد النظم الاجتماعية المتعددة هو تأثير جوهري بالغ (رغم وجود حقيقة أخرى هي تأثير الحياة العقلية والنظم التربوية على النظم الاجتماعية) والتربية التي هي اعداد الفرد للمساهمة في الحياة الاجتماعية مساهمة تضمن تكيفه الصحيح وسلامة اتجاهه من جهة وتضمن فائدة الجماعة وتقدمها واستفادتها من كفاءات أفرادها وجهودهم من جهة أخرى ، هذه التربية تتفاوت وسائلها وأهدافها الى أبعد الحدود باختلاف النظرة الى مادة العلم ومستويات المعرفة والى طرق التعليم كوسيلة من وسائل التربية • فعندما تكون ثقافة المتعة العقلية هي المقدسة المعتبرة والافراد يهدفون بقدر ما يستنطيعون الى التحلل والبعد عن الوقائع والماديات والظواهر القريبة ليمعنوا في الموضوعات الراقية الجليلة التي تحقق دراستها للفرد أن يتبوأ مركز المفكر الممتاز ذي المستوى الروحي المتصل بأسمى الحقائق وأكبرها خلودا وشمولا ، في هذه الحالة سيكون من الطبيعي أن نجد أن هذا النوع هو ما يلقى الاهتمام والتشجيع سواء من فريق الطبقات الممتازة التي ترعاه وتنميه أو من الطبقات الاخرى التي ترغب وتتمنى المشاركة فيه وتنظر اليه على أنه مثلها الاعلى •

وسنجد بذلك أن الثقافة بعيدة كل البعد عن أن تخدم الحياة في أسسها ومقوماتها الاولية وانما هي تخدم ساعات الفراغ التي تمتلىء بها حياة المترفين والبطالين وتزين مجالس علية القوم وتقدم التمجيد والمكانة للفلاسفة والمؤلفين الذين يبرزون في نواحيها ويتحفون المكاتب والندوات بنتاجهم فيها كما سنرى ان الثقافة الممتازة التي يلم بها الناس ـ على اختلاف حظوظهم من هذا الالمام ـ لا تتفاعل مع تكوينه الشخصي ومسالكه العامة وانما تبقى منعزلة في حيز خاص من هذا التكوين هو حيز المعرفة والادراك اللاوظيفي •

أما ماندعوه قضايا المجتمع ومشكلات حياة الفرد واتصال الانسان بالبيئة فشيء لا تتناوله هذه الثقافة ولا يمكن لها أن تتصور مبدئيا أو يقع في تعريفاتها وحدودها الاولى أنه مجال لعملها وميدان لجهدها فهي ليست تعرض عن دراسته وتبتعد عن بحثه ومعرفته وانما هي تجهل وقوعه فلا تلم به ولا تفرضه •

أصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بالمطلق الخالد ويعتقدون أن مادة الثقافة وهدفها الاول هو البحث عن هذا المطلق ومعرفة شيء عنه • أما الظواهر المتغيرة وكل ما يطرأ عليه التجدد والزوال فليس من حق العقل أن يضيع جهده فيه • وهذا شأن كل ما يتصل بالطعام والشراب وضرورات الحياة اذ هو مستوى حيواني وضيع يعتبر توجيه العقل لدرسه وفهم نواحيه تحقيرا لهذا العقل وهو الشعلة المقدسة التي يجب ألا تستعمل الا في اتجاه الدقائق والحقائق العليا •

بينما النظرة الثانية ترى أن الثقافة من حيث هي ليست شيئا غير تنظيم عملية التكيف الانساني مع البيئة الطبيعية والاجتماعية والسير بهذه العملية في طريق التطور للوصول آنا فآنا الى أحسن المستويات والاطوار الممكنة ويقاس اعتبار الشيء ثقافيا وعلميا بقدر صلته بهذا التكيف واعانته عليه كما يقاس المنهج العلمي في صحته واستقامته بمدى تذليله السبيل من الوجهتين النظرية والتطبيقية لهذا التكيف أيضا وكل منهج أو منحى عقلي لا يؤدي آخر الامر الى أن يكون جزءا ايجابيا من هذا المجهود التاريخي فما هو الا منهج عقيم منحرف من العبث اضاعة الوقت له أو ذهاب الجهد فيه •

على أنه ليس المقصود بهذا كله تحديد اتجاه مادي أو روحي بحت بل الغرض تركيز الجهود الواضحة حول حياة الانسان ومستقبله وأهدافه في أوسع نطاق ينظر لها فيه مع الاحتفاظ بالتصميم على عدم التشتيت أو فقدان الواقعية والتماسك والقضية هنا ليست حكما على فكرة أو نظرية بالخطأ أو بالصواب ضمن حدود منطقها نفسه أو مقتضيات منهجها وأسسها بل القضية أكبر من ذلك كله وأبسط من ذلك كله أيضا اذ هي قضية تحديد الاتجاه الأمثل في الغايات والوسائل الفكرية والفصل في موضوع هل الفكر غرض في حياة الجماعة البشرية

ذكرى ثورة الجزائر

بقلم : بسام كرد علي

في ٣٠ تشرين الثاني دخلت ثورة الجزائر الاخيرة في عامها الخامس ، واستقبل العالم عاما جديدا لهـذا النضال الرائع الذي ما سبق التاريـخ ان سجل مثله في حركات الثورات الشعبية خلال جميع القرون التاريخية وفي جميع السجلات التي حوت حوادثه .

اشراق العام الجديد على ثورة الجزائر يبعث في النفوس شتى الخواطر . ما هي هذه الثورة الدامية التي ما تزال تلقي بأرواح البشر في المعركة بالآلاف ؟ ألا يزال الضمير العالمي جامدا أمام حوادثها الرهيبة ؟ ألا تستحي الدول التي تسمى نفسها (الكبرى) أن تقف بدون مبـالاة أمام همجية الاستعمار الفرنسي وعناده ؟ هذا من جهة ومن الجهة الاخرى أي من طرف المعسكر الثاني ، هل يقنع العرب أن تزهق ارواح عربية في كل يوم وفي كل ساعة وأن تدمر البيوت وتزال القرى من الوجود ، ويحرق الاثاث ، وترمل النساء ويفنى الآلاف من الولدان والرجال ونظل نفتخر بأن ثورة الجزائر دائمة وانها مقاومـة وما تزال شاعلة .

ان كنا أمام ثورة الجزائر تقابل بين معسـكرين أو ننظر الى وضعـين ، فان في نفوسـنا تنبعث الهواجس ، وتنطرح الافكار على عقولنا ونحن نقلب احوال هـذا

أو هو أداة فيها .

* * *

ان الانتقال من أول الاتجاهين الآنفي الذكر الى ثانيهما أو قل البدء في تقديره ومراعاته لم يقـع فجأة أو بدون مقدمات فالواقع أن نذرا كثيرة تعمل جادة لتحويل هدف الاهتمامات العقلية لدى الباحثين ولتغيير أساس التقويم في الفلسفة والفكر وفي أغراض التربية ووسائلها .

ولقد كان من آثار النهضة الصناعية في القرون الاخيرة وظهور الحركات السياسية والفكرية المنادية بحق الفرد وحق الشعب وظهور روح السياحة والاتصال بالشعوب اثر حركة التبشير والبحث عن الاسواق — كان من آثار ذلك كله أن بدأت روح جديدة من الفكر والنظر تلهم المفكرين فبعد أن كان الاهتمام مقصورا على طلب الحقيقة وكان غرض الفلسفة مختصا بدراسة المطلق بدأ المفكرون يشعرون بأنه قد آن ان يوضع حد لهذه الجهود الضائعة الذاهبة في أودية الحيرة ومجاهل الابهام وقامت كما نعلم الاتجاهات التجريبية والوضعيـة التي جعلت الفـكر البشري ينطلق حقا الى ما قدر له ويحقق في كافة الميادين ما نراه من تقدم عظيم .

ان دراسة تطور الانتقال من اتجاه الميتافيزيقا الى اتجاه الوضعية والتجريب لدى الشعوب السابقة لنا في العلـم والفكر والتي أصبحت فلسفات الخيال في نظر باحثيهـا وعلمائها شيئا يدرس كحلقة سـابقة من حلقات تطور الفكر — هذه الدراسة هي فرصة لنا في الشرق لابد أن تؤدي الى زحزحة اليقين الذي لم يزل راسـخا لدى الكثيرين بأهمية العلم للعلم واثقال الاذهان بما لاخير فيه للفرد ولا للمجتمع .

وأحب قبل نهاية هذا المقال أن أشير بمزيد من الغبطة والتقدير الى الجهد العلمي الجريء الذي يبذله الدكتور زكي نجيب محمود استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة لايضاح مزايا التفكير الوضعي وشرح أسسه لابناء اللغة العربية ونقد طرق البحث والفكر غير العلمية . ان كتبه التـي اصدرها في هذا الاتجاه ! المنطق الوضعي وخرافـة الميتافيزيقا ونحو فلسفة علمية هي شيء جديد في الفـكر الغربي حقا . ولعل هذا الاتجاه لن يلبث أن يصبح طابع التفكير والعلم في العالم العربي في وقت غير بعيد .

الوضع التي وصلت اليه ثورة الجزائر • انها اليوم في القمة تحاول أن تكسب الظفر الأخير بالمعركة الاخيرة ، ولكنها وصلت الى هذه القمة بعد أن ضحت ودفعت الثمن الكثير • ووراء الظفر المنتظر خلفت الكثير من الخراب والدمار ووراء النصر الخالد ، ازهقت الارواح بلاحساب وأمام عناد المستعمر كلفت العرب (حرب التهدئة) كما تسميها فرنسا ثمنا غاليا •

ثم اننا من جهة ثانية نقف في اللحظة الاخيرة من المعركة بانتظار نتيجتها هل سنبلغ النصر كاملا ، فنحن ننتظر ما يخبئه المستقبل القريب من مفاجآت لنا ، أم لا سمح الله تنتكس معركة الجزائر في آخر مرحلة من النصر •

كلا ان ايماننا بالنهاية لن يتزعزع ، ان ثورة الجزائر الاخيرة كما نسميها حسب لغة المؤرخين هي تتمة لثورات الجزائر المتكررة التي منذ ثورة عبد القادر ، وأبي بغله ، وأولاد سيدي شيخ ، والمقراني لم تنته ، ولم تقف • فان كل هذه الحركات والثورات انما هي ثورة واحدة ، شعارها بلاد العرب للعرب والجزائر للجزائريين ، وفي نظر التاريخ ستظل الجزائر أول بلاد فتحت باب النضال العربي أمام قوة الاستعمار الكبيرة ، فلم تأبه لهذه القوة ولا لما تستخدمه من أحدث الاسلحة واقوى القوى العسكرية ، على مر تقدم من الاسلحة الذي كان يعاصر كل حركة من حركات الجزائر • قاوم عبد القادر قوات دميشيل وبوجو ورفع رأس العرب بثورته ولم يخف قوة الاستعمار ، وكذلك نازل هذه القوة جنود أولاد سيدي شيخ وجنود محمد المقراني ، ولم يكن كفاح « لالا فاطمة » المجاهدة الجزائرية التي ثارت عام ١٨٥٦ والتي اشتهرت في الحرب بأشد من كفاح جميلة (بوحيرد) التي ثارت بعدها بقرن أي بمائة سنة • لذلك فثورة الجزائر هي ثورة واحدة وكفاح الجزائر رمز لاعظم كفاح وطني تجاه الاستعمار في اعظم قارة نكبت بالاستعمار في جميع مراحل التاريخ •

وفكرة أخرى تجول بالخاطر تجاه ذكرى ثورة الجزائرة ، بأن الاستعمار في أفريقيا ستصفيه معركة الجزائر ، وهو يعلم ذلك ، ومن أجل هذا فهو يوحد قواه ضد الجزائريين ، ويعلم أنه خسر هذه المعركة ورحلت قواه الى الشاطىء الآخر من البحر المتوسط فلن يقوم بقرطاجة ثانية ، ولن تكون هناك روما ثانية قادرة على تدمير قرطاجه فهو حريص على هذا الجسر الذي يصله بالقارة والذي يؤمن له خيراتها المعدنية والغذائية •

والعناد الذي يبديه المستعمر في المعركة مبعثه معنوي كذلك ، لأن الاستعمار الذي زال عن العالم فانه يتمسك بما بقي له ليغذي الايديولوجية الكامنة في عقول بعض المسيطرين على مقررات شعوبهم ، انه عناد مبعثه التمسك بما بقي ليقال في عنفوان وافتخار ، بأن لنا أملاكا وراء البحار •

أمام كل ماذكرناه نقول للعرب أن هذه المعركة لها مابعدها ، فان احسستم بثقل وطأتها فذلك أمر طبيعي ، لأن بها تقريرا لمصير بقية بقاع أرض العرب التي تزرح تحت ثقل تأثير الاستعمار أو شبه الاستعمار ، فتحرير الجزائر تحرير لبلاد العرب كلها ، تحرير لها من التأثيرات الاستعمارية وتحرير لها من الضعف الذي هو آفتها •

ان ثورة الجزائر ستظل رمزا للكفاح البطولي أما قوة الاستعمار الجبارة ، ولكنها كذلك ثورة قوة الشعب الكاسحة العظيمة أيضا تجاه القوة الجبارة • ان دوي ثورة الجزائر اجتاز الجبال والبحار والمحيطات ، للجزائري المناضل أن يفتخر اليوم ويقف على قدميه مرفوع الرأس ، ان كل ثورة قامت في الجزائر منذ ١٨٣٠ حتى اليوم كانت ترفع دائما رأس الجزائري الى السماء ، لم ينحن الجزائريون أمام الاستعمار ولم يجلسوا على ركبتيهم أمامه ، لقد دافع الجزائريون عن شرف العرب ، فعلى العرب أن يذكروا ذلك دائما ويدافعوا عن شرف الجزائر • ستظل ذكرى ثورة ١٨٥٤ في الجزائر خالدة على مر العصور وذكراها تعيش في نفوس العرب والعالم الى الأبد •

بسام كرد علي

مكافحة الاعداء الثلاثة

الفقر والجهل والمرض

بقلم : فطمة الشلق

تكاد هذه الكلمات الثلاث : الفقر والجهل والمرض أن تتردد على كل لسان وأن تتخذ مكانها في كل ما يكتب ويذاع ، كلمات ثلاث سوف تودي بحياة أمة بكاملهــا الى الهاوية اذا لم تعالج وتعطى الدواء اللازم لها ٠

ولا شك أن هذه الاعداء الثلاثة تكاد تتركز في عدو واحد هو الفقر الذي يعتبر أشد الاعداء فتكا بالمجتمع فلو تتبعنا بداية الطريق التي ينحدر منها الجهل والمرض لوجدنا الفقر أيضا هناك عند المنبع ، فالمريض مثـــلا لا يستطيع أن يبرأ من مرضه اذا كان فقيرا لعدم تمكنه من شراء الدواء ، وهذه هي الفئة الغالبة ٠ فكم من امهات بائسات حزينات عـلى أطفالهن الذين مزقهـــم المرض وانتزعهم الموت من بين ايديهن لأنهن لايملكن مايشترين به الدواء اللازم لشفائهم أو ما يدفعنه أجرا للطبيب ٠

وكم من أطفال بؤساء يتألمون ويقاسون الآلام الشديدة وتنتهي حياتهم بمأساة مؤلمة محزنة لو شعر بها كل من له قلب رقيق أو ضمير حي وضحى قليلا من أجلهم لما حصلت النتائج المؤلمة ولما تداعى ركن من أركان المجتمع والمأساة التالية هي من مآسي مجتمعنا الواقعية ومن صميم الحياة الاجتماعية وهي واقعة واحدة من وقائـــع كثيرة تجمعها فكرة واحدة هي مآسي الاحداث الجانحـين المشردين الذين قساعليهم المجتمع الانساني ، الاحداث الذين انكرهم أهلهم ونبذهم الناس فباتوا على أرصفـة الشوارع جياعا حفاة عراة٠هذه المأساة الواقعية التي رواها أحد الاحداث بنفسه كانت نتيجة لفقره وجهله من جهة ولظلم المجتمع له من جهة أخـرى ٠ وتتلخص بوفاة والده واختطاف القدر والدته بعد أشهر قليلة ٠ فانفض من حوله أصحاب والده وبقي وحده لا يتقن علما ولا فنا ولا يملك مالا فأنكره ونبذه مجتمعه فباع أثاث داره ليتخلص من الجوع وما أن عرف أصدقاء السوء وجود المال بين يديه حتى زينوا له الربح الحرام عن طريق القمار لينقلوا ما بين يديه الى جيوبهم فقامر المسكين بقيمة الأثاث فأضاعها ثم تمادى في غيه فقامر بمسكنه وخسره فطرد منه وهام على وجهه في الشوارع بعد أن أصبـح معدما مشردا منبوذا قـــذرا يفترش الارض ويلتحف السماء يبيت في العرصات الملوءة بالحشـرات ويقضي نهاره مستجديا أكف من زينوا له طريق الشر فأنكروه هذا مما دفعه الى المنعطفات لاستجداء أكف المحسنين من المارة فلم ينل الا الصفع على وجهه والركل بالاقـــدام والشتائم ٠ وكنتيجة طبيعية لهذا الانكار من أصدقاء والده ومعارفه ومن الغرباء كره المسكين المجتمع والاهل وانطوى على نفسه يتناول من الطعام ما تصل اليه يده ٠ وكثيرا مالجأ الى السرقة وارتكاب الجرائم في سبيل تأمين لقمة العيش ، ورغم ذلك فان قلة الغذاء دفعته الى الهاويـــة اذ أصيب بمرض بل بأمراض لاشفاء لها بالمال ومن أين له ذلك والمجتمع يقسو عليه ولا يرحمه ٠

هذا هو العدو الخطر الذي تعتبر مكافحته واجبـة على كل مواطن فاذا ما وجهت العناية برفع مستوى الفقراء واعانتهم الاعانة الكافية وذلك باهتمام الحكومة قليـــلا بالعاطلين عن العمل وايجاد العمل المناسب لكل منهم عن طريق انشاء المصانع والمعامل لحصلنا على نتائج حسنة

بالنسبة للفقراء اذ يرتفع مستواهم الصحي والثقافي والاجتماعي ، وبالتالي تحصل الدولة على منافع مادية ومعنوية وذلك بتوسيع معاملها ومصانعها وازديادمنتجاتها وازدهار تجارتها مع البلدان الاخرى ، وان اهتمام الحكومة وحدها لن يكفي لمساعدة كل فقير ومؤازرة كل محتاج الا اذا تضافرت جهودها مع جهود الجمعيات الخيرية التي تأخذ على عاتقها محاربة الاعداء الثلاثة ولكن وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي هي أحق الوزارات في الاخذ بهذا المبدأ لا تعير هذه الناحيةاهتمامها وكأن القائمين على العمل لا يودون تحري الحقيقة ومؤازرت الجمعيات العاملة وانما يكتفون بالاقوال التي ترد اليهم ، وعلى هذا الاساس يوزعون الاعانات بشكل كيفي غير مدروس لا على أساس العمل الذي تقوم به كل جمعية وانما حسب الظروف ...

وليتأكد سيادة وزير الشؤون الاجتماعية والعمل ، المعروف بنبل الخلق والمنطوي على نفس تحب الاصلاح وتحري الحقائق ورفع مستوى المجتمع عن طريق محاربة الاعداء الثلاثة عن صحة ما أوردته في هذه الكلمة محاربة لي من ذكر المثال التالي :(قامت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بتوزيع الاعانات السنوية على الجمعيات الخيرية والاندية ولم تخصص أية اعانة الى - جمعية حماية الطفل لقرى الغوطة - هذه الجمعية التي تقوم على رفع مستوى أبناء الغوطة الصحي ومستوى أمهات الغوطة الثقافي والاجتماعي - وتضحي عضوات هذه الجمعية بأوقاتهن وأموالهن في سبيل تحقيق هذه الغاية - وقد فوجئت الجمعية بهذا التصرف ولدى مراجعة بعض المسؤولين عن الاسباب المؤدية الى حجب الاعانة عن الجمعية أفادوا بأن الوزارة لها أن تعطي الاعانة لمن تشاء وتحجب عمن تشاء » فهل هذا التصرف الذي يحرم أطفال القرى من المساعدة المادية هو تصرف قانوني ؟

أما العدو الثاني الذي تجب محاربته فهو الجهل ولكنه أقل خطرا من الفقر اذا حصر بفئة قليلة من الناس الذين لا يستطيعون تلقي العلم لاسباب تمنعهم عن ذلك ، فاذا مكنا هذه الفئة من العمل المنتج لكان ذلك أجدى من تركها متعلمة وهي جائعة يهوى بها الفقر الى درك الاسفاف خلقا وفكرا ونفسا ، ولكن اذا لم نحارب الامية بصورة عامة وانكب الشعب كله على العمل فقط وبقي غارقا في جهله كالآلة كان لذلك أثر فعال في تداعي المجتمع كله .

فيجب مكافحة الجهل في أقصى حدوده وخاصة في القرى - فكم من أطفال ابرياء قضوا نحبهم ضحية لجهل أهلهم . فالفقير لا يستطيع تلقي العلم الذي يقيه من الخطر - ولو فرضنا أنه يتلقى العلم في المدارس المجانية الحكومية فانه لا يملك تكاليف المدرسة من كتب ولباس وأجرة الذهاب والاياب الى المدرسة . فلو تضارت جهود الحكومة مع الشعب لاسيما الجمعيات الخيرية وعملت معا لمكافحة الامية وذلك عن طريق احداث جوائز تشجيعية واقامة رحلات مجانية للذين يتلقون العلم في مدارس مكافحة الامية ، ووضع تشريع يلزم ابناءالاغنياء على دفع مبالغ معينة الى الجمعيات التعاونية في مدارس الحكومة لمساعدة الاطفال الفقراء بشراء لوازمهم وتقديم الغذاء اللازم لهم لقلت نسبة الامية فهناك كثير من الاطفال في بعض المدارس الحكومية وخاصة في بعض الاحياء الفقيرة كحي العمارة والقيمرية والقنوات وغيرها ... يوصفون ببلادة الذهن والكسل وبعد أن اتخذ المدرسون شتى الوسائل معهم لانقاذهم من هذه الصفاة دون جدوى عرض أمرهم على الاختصاصيين والاطباء فتبين ان ما ينقصهم ليس الغذاء الكامل أو الضروري لانقاذهم بل ينقصهم الغذاء البسيط الذي ينقذ حياتهم من الموت وبعد التحري عن حالتهم المادية تبين أن البعض يأكل كل أربعة وعشرين ساعة نصف رغيف بدون أي شيء والبعض يتناول كل يوم بعض كسرات من الخبز اليابس مع بصلة والآخر يتناول قطعة خبز مع ثلاث زيتونات هذا بالاضافة الى أنهم نصف حفاة ونصف عراة حيث يلبسون ثيابا ممزقة بالية . وهذا ما شاهدته بنفسي عندما ذهبت مع احدى لجان النادي العربي في العام الماضي لننتقي بعض الاطفال من المدارس لمشروع يوم اليتيم الذي يقيمه النادي كل عام في ٢٧ رمضان فيقدم لهم الكساء الكامل مع هدايا من السكاكر والدراهم .

فلو دفع الطلاب الاغنياء في تلك المدارس المبالــغ التي يستطيعون دفعها لا المبالغ الرمزية التي يدفعونهـــا كالطلاب الفقراء ــ لتمكنت المدارس عندئذ من اكســاء الفقراء وتقديم وجبة غذاء الى الذين لا يتوفر لديهم الغذاء الكامل في منازلهم ــ ولأدى ذلك الى القضاء على العدو الثالث الذي هو المرض والذي لا وسيلة لتمهيــد هذا الطريق سوى التعليم وتأميم الطب أو تأمين المعالجةالمجانية الكافية للفقراء الذين لا يستطيعون الدخول الى المستشفيات المجانية الا بصعوبات كثيرة والذين لا يحصلون عــلى الدواء الشافي لهم الا بعد بذل جهود كبيرة •

فالتعليم هو سلاح الصحة الاقوى والامضى من أي سلاح آخر للقضاء على المرض ، وليس القصد بالتعليم القراءة والكتابة فحسب انما القصد التعليم الصحيح السليم لرفع المستوى الثقافي بين أفراد الشعب ، فكيف يمكن للفلاح أن يؤمن بضرر الاوساخ في مجاري المياه أو على شواطئها وهو قد نشأ في بيئة لا ترى غبارا على هذا الوضــع لأن مستواها الثقافي لا يساعد على تفهم دورة حياة الطفيليات المسببة للامراض التي تنتشر من جراء هذه الاعمال •

وليس الجهل وحده هو الذي يؤدي الى المرض فانما هناك الفقر أيضا كما ذكرنا سابقا • وقد شعرت جمعية حماية الطفل في قرى الغوطة بضرورة محاربة هذا العدو مع محاربة دوافعه فقامت بتأمين النواحي التالية :

١ ــ ايفاد طبيبين أسبوعيا الى قريتي دمر وداريا لمعالجة الاطفال واعطائهم الادوية اللازمة •

٢ ــ زيارة العائلات الريفية لارشاد الامهات صحيا واجتماعيا وثقافيا اذ لاحظت الجمعية أثناء معالجة المرض أن بعض الامهات لا يزرن الطبيبة الا بعد استفحـــال المرض ووصول المريض الى درجة لا سبيل معها الى تلافي مرضه فاذا ما وصل الطفل الى حالة الهلاك حملته أمه بين ذراعيها وانتقلت به الى مركز الجمعية في دمر أو داريا لتعرضه على الطبيبة ولكن من أين له الدواء لشفاء ذلك الداء ••••

الا أن هذا الاهمال قد تضاءلت نسبته بسبب الزيارات لعائلات الريف من قبل عضوات الجمعية وارشادهم في مركزها الارشادات الصحية والتربوية •

٣ ــ عرض الافلام الصحية والتربوية على بنات وأبناء الريف لارشادهم الى كيفية تربية الاطفال منذ ولادتهم والى أن يبلغوا الرابعة من عمرهم •

كما تقوم الجمعية بتشجيع الامهات على قبول المعالجة الضرورية التي تحتاج الى اجراء عملية • فكم من أم زارت مركز الجمعية مع طفلها فتبين للطبيبة أنه يحتاج الى عملية جراحية فتقوم الطبيبة بواجبها وتكتب الى أحد المستشفيات لقبوله ولكن الام تمتنع قائلة (أفضل موته بين يدي بديل موته في المستشفى) تقول ذلك لاعتقادها بأن الطبيب في المستشفى لا يعتني به وسيتركه يموت ، وهنا ينتقل دور الطبيبة والعضوات الى مرشدات فيحاولن اقناع الام ولكن دون جدوى ، الى أن قلت هذه الحوادث نتيجة لمواصلة الارشادات والزيارات والافلام التشجيعية التي تظهر فوائد المعالجة الحديثة •

هذه الخطوات التي خطتها الجمعية أدت الى نتائــج حسنة جدا اذ انتشر الوعي الصحي والتربوي لدى أسر الريف وأدى ذلك الى تحسن صحة الاطفال عن طريق العناية بنظافتهم وتربيتهم وبالتالي هبوط نسبة الوفيات بين الاطفال •

يتبين من هذا كله أن محاربة الاعداء الثلاثة يتوقف على محاربة فقر النفوس الذي هو أساس فقر الجيوب لان اصلاح نفوسنا يؤدي بالغني الى مساعدة الفقير فيزول بذلك فقر الجيوب ومرض الاجسام أصله مرض القلوب• فلو تحرك الضمير الانساني في القادرين على المؤازرة ، ونهض الاطبــاء وغيرهم لاسعاف المرضى لزال مرض الاجسام ، وأما مرض الجهل فأصله الانانية وحب الذات فلو تنازل المتعلمون عن أنانيتهم وحب ذاتهــم وضحوا بأوقات فراغهم للقيام بأعمال تعليم الاميين لخف الجهل بل لزال نهائيا مع مرور الزمن •

فعلينا اذن بالاشتراك مــع الحكومة وخاصة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والتربية والتعليم والصحة النهوض نهضة تضحية وجهاد وتعاون صادق لنتمكن من القضاء على الاعداء الثلاثة وهي الفقر والجهل والمرض •

فطمة الشلق

وجهها في المرآة

قصة بقلم : سليم زهدي

تعرف أنها ليست جميلة . وهي لا تتضايق ، بل أن ذلك يشعرها بشيء من السعادة في بعض الاحيان .. كان يرضيها ان ترى الناس الذين حولها على حقيقتهم ، تراهم وهم يتحدثون معها دونما تكلف او تصنع ، ويعاملونها معاملة طبيعية لا توحي أنها تخفي تقصدا لبلوغ هدف ما ، ويعجبها أن أحدا منهم لا ينظر اليها كأنثى لها جمال ، انما كأنسانة فقط ، لها رأيها وأفكارها في الحياة ، وكان يرضيها أن يمتدح الرجال الذين حولها ذكاءها وفطنتها ، وكانت تعتبر هذا المديح شيئا هاما يشرفها ويجعلها في غاية السعادة ... وربما انها كانت تثور لو قال لها أحدهم شيئا ما يمتدح به فستانها أو جمالها ... وستعتقد على الفور انه يحاول خداعها .. انها تعرف نفسها جيدا فلا حاجة بها لأن تسمع رأي الآخرين .

وفي عملها كانت تحرص على نيل المزيد من التقدم والنجاح ... تناست انها أنثى ، وأهملت لباسها وزينتها وتفرغت لعملها تفرغا كاملا وأصبحت تنكب على الكتابة ساعات طويلة ، ولم تسمع بطبيعة الحال شيئا ما يقال لها عن جمالها او فستانها .. كان همها ان تتفوق على كل زملائها الذين يعملون معها .. واشتهرت في المحيط الذي تعمل به ، واصبح الجميع يعترفون لها بالذكاء والتفوق ويلقبونها « بالفيلسوفة » .. وكان هذا يزيد في غرورها كمثقفة ..

وبدأت تعيش على غرورها .. واعتادت مع الايام ان تسمع الناس يطرون ذكاءها وتفوقها في عملها ولا شيء غير هذا .

لقد سمعت كثيرا من رفيقاتها وهي في الجامعة عن الدور الذي يلعبه الذكاء في نجاح المرأة ... وواحدة منهن كانت تقول لها ان المرأة الذكية تستطيع ان تأسر



الرجل وتفتنه ، فالذكاء بنظرهن ضروري حتى في نجاح التجارب العاطفية .. ولكنها لم تطبق ذكاءها في تجربة من هذا النوع بعد ... انها بحاجة الى تجربة .. ولكنها خائفة .. خائفة من نفسها ومن ذكائها .. ومع ذلك فقد كانت تسأل نفسها دائما :

ـ لماذا لا أجرب ....؟..

وتسخر في سرها من هذا السؤال .. انها على ثقة من ان التجربة لا تعني الا الانفعال الشعوري المتكافيء بين الرجل والمرأة .. ومعظم الشباب يتقصدون الانفعال مع الجميلات .. وهي ليست جميلة .. فان حاولت فلن تكون الا طرفا واحدا منفعلا في التجربة ـ أو هكذا اعتقدت على الاقل ـ وهذه برأيها تجربة خطيرة يجب أن تفكر فيها طويلا قبل أن تهيأ نفسها لها .. وقضت أياما قلقة قاسية ، كانت تشعر انها ضائعة ، تعيش العدم والفراغ .. وان حياتها كئيبة ومملة لدرجة لا تطاق .. انها خائفة ..

وفكرت طويلا قبل ان تتخلى عن خوفها وتخاطر ..

وأخذت تبحث بجدية عن الطرف الآخر الذي ينفعل معها .. وأصبحت تتأنق في لباسها وزينتها اكثر من ذي قبل واختارت عطرا ناعما ... وبدأت نظراتها تأكل عيون الشباب في الجامعة .. تتعمد الحديث معهم وتلاطفهم.. تضحك وتروي النكات وتشترك في المناقشة وتركض وراء زميلاتها في الباحة .. تماما كما تفعل طفلة .. وكانت تبدو مرحة .. ولفترة ما كانت تشعر انها مرغوبة وأنها أجمل مما تتصور .. ولاحظت احدى صديقاتها مرحها وانطلاقها المفاجىء فانتحت بها جانبا ونصحتها ان تبدل من تصرفاتها « الخفيفة » حتى لا يظن بها بعض الزملاء سوءا .. ثم اقترحت عليها ان تركز اهتمامها بشاب واحد اذا رغبت أن تقضي أياما حلوة قد تتطور العلاقة خلالها فتصبح ارتباطا يربطها مدى الحياة ، وأعجبتها فكرة الارتباط هذه .. وسمعت كلام صديقتها وبدأت تبحث عن شاب .. أي شاب تشعر انه يميل اليها ولو بصورة مبدئية لتركز اهتمامها به .. انها بحاجة الى صداقة واحد من زملائها ، واحد يفهمها وتفهمه يشاركها أيامها الرتيبة .. يقاسمها وحدتها مع نفسها .. ينتشلها من الضياع الذي تحس به .. يشعرها انها امرأة .. وكادت تجن .. انها تعرف كثيرا من الشباب ولكنها ليست بحاجة الا الى واحد منهم .. واحد فقط .. تتقرب اليه بطريقة ما فتتباسط معه في الحديث وتلاطفه ، ثم تشعره بكل بساطة ان نظرتها اليه خاصة .. وستحاول ان حدث ذلك ان تستعمل ذكاءها لتنال اعجابه وستحرص عليه كما تحرص على دروسها ومستقبلها وأكثر .. وستنفذ كل رغبة يبديها .. وستحترمه ..

.. المهم الآن ان تعثر على هذا الشاب الذي تلحظ عنده الاستعداد ليكون طرفا آخر في التجربة .. طرفا يتقبل منها هذا الشيء الخاص .. وبحثت طويلا ولم تعثر عليه أو هكذا توهمت فانطوت على نفسها ولم تعد تؤمن بحديث رفيقاتها عن الذكاء .. واختفت اناقتها ولم تعد تستعمل عطرها الناعم المفضل ، وغاب مرحها وانطلاقها عن حلقات الاصدقاء وأخذت تعيش مع كتبها .. تنفعل معها بكل ذكائها وكيانها .. تنتقم لنفسها بالقراءة المستمرة ليل نهار .. لقد عرفت ان ذكاءها لن يفيدها الا بالتعرف الى الكتب والتحبب اليها فحسب .. وكانت تحس احساسا عميقا بسعادة الكلمات والحروف وهي تتراقص جذلى أمام عينيها قبل أن تغفو كل مساء ... ولم تعد كتب الجامعة وحدها تشبع رغبتها .. فاهتمت بكتب الادب والقصة .. وقرأت فيها اشياء حلوة عن الحب والفلسفة والوجود .. كانت تنسجم مع الاشياء التي تقرؤها .. تعيش احداثها وتنفعل معها بحرارة .. وفي كثير من الاحيان كانت تضع نفسها موضع البطلة في القصة .. ولفترة ما كانت تتخيل انها كذلك حقيقة .. وتعود الى نفسها .. الى كآبتها لتقضي وحدتها مع الفراغ والعدم .. وأخذت تحس بأن ثمة افكارا تعيش في رأسها تضغط عليه .. تجعله يدور ويترنح من القلق ..وساءلت نفسها ماذا لو كتبت أفكارها .. حولتها الى كلمات تنطق بجرأة وصراحة على الورق .. عندها اشياء كثيرة لتكتبها .. تنفس بها عن نفسها الضائعة .. وبدأت تكتب كل مساء .. وشعرت بأنها ارتاحت من أفكارها بعض الشيء.. وانها تنتصر على كل شيء حولها .. لقد آمنت من بعد تجربة أن ذكاء المرأة لا يعني في نظر الرجل غير جمالها .. وهي ليست جميلة .. فلتجرب اذن ان تكون ذكية في مجال آخر .. مجال يحتاج الى ذكائها فقط مجردا عنها كامرأة .. وسترى ان كان الرجال يعترفون لها أم لا .. وتفرغت لدراستها وكتبها .. وعندما رغبت في التوظف اختارت عملا تستطيع فيه أن تعبر عن آرائها وأفكارها .. واستلمت عملها في مجلة أسبوعية كبيرة .. وبدأت تعيش في مجتمع جديد عليها .. مع زملاء جدد لا يعرفون عنها الا ما يطالعهم به وجهها الحزين المفكر دائما .. وانكبت على مكتبها تكتب أشياء جميلة .. واستعملت ذكاءها .. نفس الذكاء الذي جعلها تتفوق على زملائها في الجامعة .. ولقيت كتاباتها استحسانا عظيما .. وارتفعت بعد مدة نسبة توزيع المجلة .. وأخذ الجميع يقدرونها .. وتفوقت وأصبحت مشهورة في

المحيط الذي تعمل بـه •• وامتـدح زملاؤها ذكاءهـا واحترموها كانسانة فقط لها رأيها وأفكارها في الحياة •• وبقيت هي على حالها تعيش نفس الحياة التي عاشتها في الجامعة •• تزهد بأناقتها وزينتها •• وتقضي وقتا طويلا كل مساء مع كتبها ووحدتها •• وكانت سعيدة لفترة ما•• وشيئا فشيئا أخذت تمل أحاديث الناس الذين حولهـا ونظرت الى نجاحها وشهرتها نظرة سخيفة •• انها بحاجة الى شيء جديد آخر غير الشهرة •• شيء تشعر بحرمانها منه •• بتحرقها اليه ورغبتها فيه •• شيء يشعرها بكيانها كامرأة •• انها الآن تخطو نحو الثلاثين ولا شيء غير الكتب والسأم والوحدة •• وفكرت طويلا •• وقرفت من نفسها ومن وجودها •• وتمنت لو تذوب من الحيـاة وتخلق من جديد بوجه غير هذا الوجه •• انها امرأة وبحاجة الى تجربة •• تجربة من أي نوع كان •• لا يهمها أنها تسير سريعا نحو الذبول والفناء •• ووقفت ذات صباح أمام المرآة •• ونظرت طويلا الى وجهها •• انها تكره هذا الوجه •• تتألم من رؤيته •• وكادت تبكي •• انها ليست جميلة •• هكذا خلقها الله •• ومن غير أن تشعر اتجهت الى خزانة ملابسها ووقفت تتطلع بذهول الى فساتينها المكدسة •• ثم اختارت أجملهـا فارتدته وعادت لتقف أمام المرآة تتزين وتتعطر •• وبدت جميلة كما لم تبد من قبل •• انها تتذكر ما حدثتها به احدى رفيقاتها عن الذكاء •• فلتحاول اذن من جديد أن تجرب ذكاءها كامرأة •• امرأة لهـا أنوثتها المجردة عن كل المفاهيم والنظريات ••

وقبل أن تدخل المكتب ذلك الصباح وقفت تضع وجهها في المرآة •• تتفقد زينتها وتعلق على شفتيها ابتسامة شفافة •• ودخلت يسبقها عطرها •• وعندما جلست الى مكتبها خيل اليها أن جميع الرجال الذين يعملون معها في الغرفة يتطلعون اليها باعجاب ويرغبون فيها •• ولاول مرة في حياتها شعرت أنها سعيدة سعادة حقيقية •

اللاذقية — سليم زهدي



من وحي المذود

شعر : جورج سالم سيف

الأشعة المبعثرة في جبين الأفق ..
تتهادى مترنحة سكرى ..
من نجم بعيد ، في الفضاء ..
يسكبها قبلات ، على وجنات الأرض !
والدروب الهادئة ، الحيرى ..
تدغدغها همسات الضياء !!
وتداعبها رعشات الغسق الوسنان ..
فتموج البراري بأطياب وعطور ..
وتتراقص عرائس الفجر ..
على انغام كلها دفء ، وحياة ، ورؤى .
لكأن اليوم عرس الكون !!
ولكأن الكون كله في عرس .

* * *

وقافلة ادلجت ..
على طريق ضائع ..
تحمل في أعماقها امنية الفتح !
وتطوي بين حناياها أمل البعث
والحلم يهدهدها ..
برؤية دنيا جديدة
تنبثق من مغارة نائية
تربعت هناك ، في حصن الوادي
واتكأت على زند الرابية الخضراء
تبعث الى الكون ..
من اعماقها ، كونا ..
وتنسج من ظلماتها ..
وجودا ..
تتلألأ فيه ، قبسات الالوهة ..
وتتماوج على رؤاه همسات السماء ..!!

* * *

هناك ..
غرس النجم ضياءه
فأطلت المغارة ..
وترجلت القافلة ..
لتسكبها صلاة في ضمير الاودية ..
باعثة من الاعماق الى الآفاق ..
تمتمات شكر ، وثناء ..
وتسير ، وئيدة الخطى ..
في وجه الرياح ..
التي هبت قاسية هوجاء ..
لتمزق خيط الطريق ..
بالرعود القاصفة ، والمطر الثر ..

* * *

ومن جديد ..
يطل النجم من بعيد ..
ليومىء الى هناك !!
الى بضع خطوات
حيث ترتجف مويجات الأثير
حاملة صدى قبلات
وأشلاء خوار

وبقايا لهثات ..

ومن باب صغير ..

خفضت الايام من غلوائه ..

تسللت ألسنة اللهيب ..

لتخلق أمام القافلة ..

دربا من نور ..

يتوهج في خاطره ..

مذود وضيع ..

يحمل بين حناياه ..

سر الملكوت في السماء ..

والجبروت على الارض !!

* * *

وهالة من سنا ..

تلف حول المهد ،

أما تمخضت بالظلام ..

فولدت النور ..

وأبا ، أسكرته الغيبوبة ..

فجثا يصلي ..

ومجوسا عطروا الاجواء بالبخور ..

ويلتفت الطفل المتواضع ..

فيبتسم ابتسامة حلوة ..

كلها رحمة ، وحنان !!

وتهف النسيمات معطرة بأنفاس الفجر

حاملة من كوخ صغير ..

لله في العلى مجدا

وللارض سلاما ..

وللناس مسرة ..

جورج سالم سيف

جارة !...

قصة تامة

غادرتُ كوخي . ومحراب الهوى ومضت للعـــالم المنطلق
تركتْ لي مـلءَ بيتي عبقــاً أنا لا اعبد غير العبق
وصدىً في غرفتي ، في مسمعي في دمي ، كالنغمِ المتّسق
وبقــايا قطـعٍ من سكرٍ بُعثرت فوق زوايا الطبق
وعـــلى كرسيها منشفةً بُلِّلتْ بالدَّمع ، او بالعرق
غرقتْ بالطيب كفي عندمــا لمستَها ، وفمي بالألَــقَ
وارى مرودَ جفنيها عـــلى جانب الشبّاكِ نصفِ المغلق
وعلى البلّورِ مـــن انفاسِها لهَثاتُ الشمس فوق المشرق
وكتاباً ظلَّ في موقدِهـا أغفلته النارُ لم يحترق
قلقٌ ؟؟ ام مَوَّجته نسمةٌ ؟؟... إنه مثلي كثير القلق
لم اكدْ ابصره حتى غَـدا مِزَقاً من حنقي ، او حَمقي
غَيرةٌ هوجاءُ امــلاها الهوى لم تكن - لولا الهوى من خلقي
وعلى المكتبِ كوبــاً ابيضاً وبه اضمومـة من حبقِ
ذَبلَتْ اوراقها مِنْ ظمــأٍ ... إنَّ قلبي بعضُ هذا الورق
وعـــلى زاوية عُنوانَهـا وعلى الاخرى ، وَداعاً : ياشقي

حامد حسن

انسان مبادىء

قصة : بقلم علي الجندي
(الاقليم الشمالي)

••• عندما أقبل الاستاذ « أبو دقن » على المقهى العفن ـ كما كان يسميه في قصصه ـ لاحت له الوجوه المشغولة من خلال زجاج الواجهة كما كانت تلوح له منذ سنوات عديدة ••• ولكنه شعر ازاءها بشعور مختلف عن تلك الايام ، فقد كانت اذ ذاك وجوها يستعصي عليه التأثير عليها ، أو حل لغزها •• أما اليوم فقد تغير الامر اذ أصبح بوسعه أن ينفذ الى داخلها ، أن يكشف الستار عما يعتمل في قلب كل جمجمة منها من أفكار وأحلام •• أو على الاقل اصبح بوسعه أن يخلق فيها افكارا واحلاما من عنده •• أو ، وهذا أضعف الايمان صار بوسعه بعد تلك السنوات من الجهد والنضال في سبيل تأكيد وجوده في المدينة الكبيرة ، من أجل الشهرة والمجد و ••• وربما المال ، غدا يستطيع أن يجعل كل تلك الرؤوس ، أو أغلبها •• تلتفت نحوه •• تتحرك قسرا عنها لتحدق فيه بعيون مفعمة بالاعجاب أو الحسد •• أو ربما عواطف أخرى قد لا تخطر له على بال •••

••• وعندما أصبح عند باب المقهى ضم الدفتر والمجلات تحت أبطه بقوة وحرك رأسه بمقدار نصف دائرة داخل ياقة قميصه ودفع الباب بقدمه •• ثم دخل بسرعة ،ولكنه سرعان ما توقف بعد الباب بقليل واجال نظراته بين الجالسين كمن يبحث عن انسان ما ••• وأحس بالزهو وهو يرى الى بعض العيون تتجه اليه ، وحدث نفسه قائلا :

أولم أقل انهم مضطرون لترك ما يشغلهم ولو الى حين ليحدقوا بي باعجاب وحسد وربما بعواطف أخرى ؟••

•••ولم يلبث أن أخذ سمته نحو طاولة منعزلة تطل على الشارع ، فالمفروض فيه ألا يبتعد عن الجمهور المتدفق فيه ••• هذا السيل من الناس كما سماه في قصصه أيضا •• وفتح مجلة راح يتشاغل بالنظر فيها ••• في صدور الممثلات شبه العارية طبعا •• ومسح بيده على شعره الاجعد الفاحم •• وجعل يده تمر بحركة شبه عفوية على خصلة فوق جبينه ، لعلها تتهدل عليه ، فقد وصف نفسه في قصة له مرة هكذا •• وظل يردد بينه وبين نفسه : لقد ملكت الجمهور ، كلهم يقولون : هذا هو خالد أبو دقن الاستاذ خالد ، القصاص الرائع ••• بالطبع لم يخطر له قط : ان زبائن المقاهي العفنة ينظرون لكل داخل كما نظروا له ، وخاصة اذا كان قد جعل من هيئته صورة من صور الاعلانات ، فشاربه المرسوم بعناية فوق شفته العليا ••• خطان دقيقان يتهدلان من ظل أرنبة أنفه وبعد سنتيمتر واحد يفترقان بمرح واحد نحو اليمين والآخر نحو الشمال •••ثم زر الياقة المفتوحة وربطة العنق ذات اللون الفاتح المرخية •• وفوق كل ذلك حركات الرأس العصبية داخل الياقة المفتوحة •• وكذلك لونه الاسمر المشوب بصفرة حقود •••

••• وفاجأ النادل الاستاذ (أبو دقن) قائلا : نعم استاذ : فالتفت الاستاذ الى النادل القصير الممتلىء الجسم ـالبليد ككل القصار السمان في مذهبهـ وحدق في وجهه بنظرة تمثيلية قائلا : قلت لك ألف مرة لا تطلب مني ذلك قبل أن أدعوك أنا •• انني مشغول ، انني سأكتب ، انك تقطع علي سلسلة افكاري انك تطرد عني شيطان الوحي ••• اذهب عني •• ويجيب النادل بمسكنة وخبث: استاذ : هذه مهمتي ، انني لو لم آت اليك لما طلبتني مطلقا

•• ثم ما علاقتي بشيطان وحيك •• هذا عملي •• شعر الاستاذ أن الحوار اذا طال فسيلفت ذلك انتباه بعض الزبائن القريبين على الاقل •• وبالفعل فقد لمح نظرة استهجان من رجل بعقال وحطة من تحت أبط النادل فقرر أن يقوم بعمل حازم •• فضب مجـلاته ودفتره ووقف بعصبية ، ثم قال : الحق علي اذ أجلس في هذا المقهى ••• انني لن أعود اليه ثانية ، وسأرى كيف أتحدث عنكم أيها اللصوص في المجلات والصحف •• وسـار الى الباب بخطى نزقة ، ثم اندفع خارجا دون أن يلتفت وراءه •• ليرى نظرات النادل الضاحكة تتبعه بسخرية•• وقوله : لاستاذ كان يضحك مثله : شـو أساتذة ••• لقد كرر هذه الحادثة عشرات المرات ولكنه كان دائما يعود ويجلس دون أن يطلب شيئا ••

وسار الاستاذ أبو دقن في زحمة الشارع ذاهلا ، وفي نفسه نقمة على كل الناس •• ولكنه عزى نفسه قائلا : أصحاب المجلات والصحف كانوا في بدء حياتي الادبية كذلك ، كانوا لا يفهمونني ، ولكنني بغزارة انتـاجي اضطررتهم للاعتراف بقيمتي بالمال •• المال •• المال •• المال !•• يجب أن يصبح غنيا •• انه أصبح يحصل في الشهر على أكثر من مائتي ليرة زيادة على الراتب الذي يدفعه له الملك (المحسن الكريم) ، ولكن ذلك لا يفسح له المجال ليعيش ببذخ كما يجب أن يعيش •• وتخطر له حياته الماضية وجهاده في سبيل مركزه الذي أصبح لهالآن يذكر أيام الدراسة وكيف فرض وجوده على استاذالادب بموضوعاته الانشائية ثم كيف تعلم بعد صدمة حبه الاول اذ انتزع منه صديق هو أديب مشهور فتاته•• لأنهمشهور وغني •• أجل لقد تعلم ان المبادىء والمثل يجب أن تكون وسيلة للوصول الى أهداف أهم ، الشهوة والمجد وربما المال في النهاية •• ولهذا فقد انتمى الى الحزب الغني النشيط الذي كان يدعو لمحاربة الشيوعية ، واعتبار سوريا أمة مكتفية بذاتها •• وهو على كل حال لا يذكر ولايهتم بتلك المبادىء فحسبه ان كان له صديق في الحزب غني وفنان يشباركه لكثرة اخلاصه حتى في ماله وكانتصحيفة تنشر له ، تسميه بفنان المستقبل •• ولكن الحزب خانه اذ ثبت عليه التآمر فسارع الى شتمه في قصصه ومقالاته ولم يعد يحتمل رؤية صديقه الفار من العدالة ••

وقرر البحث عن حزب آخر •• ووجد سهولة في العثور عليه ، وهو افضل من الاول ، تصوروا ان قصصه يمكن أن تترجم حتى الى لغات أخرى ويدفع له ثمن القصة مبالغ لا بأس بها •• ثم ان كتاب الحزب الجديد يسيطرون على الصحف والاذاعة •• وعندما قبله كتاب الحزب الجديد في (رابطتهم) التي أنشئوها طار فرحا ، وأصبح يتحدث ولو مع خدام المقاهي في الديمقراطيـة والخبز والسلام •• لدرجة أنه حمل صورة لحمامـة السلام الانيقة بمنقارها المطبق على غصن لطيفمن الحديد يرمز لأغصان الزيتون ••

•• وتلوح له من خلال كل هذا الاستعراض العابر لتلك الفترة ذكريات حلوة ومريرة •• كان يبحث أيضا عن الحب أكثر من الشهرة والمال •• وقـد وجد في اجتماعات الرابطة فتاة أدبية تعطف عليه •• واهداها قصة بقوله : الى ذات العينين الشرهتين ، المناضلة الشريفـة في سبيل السلام وحرية الشعوب •• وقد واعدها يوما في مقهى المهاجرين ، وسار معها في طريق خلوي ،وقبلها مرات عديدة وهو يرتعش •• فذاق لأول مرة طعمشفاه شريفة لا تأخذ ثمن قبلاتها !•• ولكنه سرعان ما اكتشف انها لا تحبه وحده ولكنها كرست عواطفها لتشجيع جميع زملائه من الأدباء التحرريين •• ونقم يومها على المرأة وكتب قصة عن ذلك منعه زملاؤه في الرابطة من نشرها لأنها تسيء الى سمعتهم ••

وأخرجه من ذهوله اصطدامه بشابيسير مسرعافحدق فيه باشمئزاز دون أن يقول شيئا •• ولكنه انتبه الى انه سار طويلا ، وانه متعب ، وانه بحاجة للراحة ، ولرؤية سناء •• وأحس بوخز في ضميره •• ان سناء مخطوبة لصديق الجديد ، ولكن صديقه مشغول بعمله الآن ، وبوسعه أن يتحدث اليها قليلا فيستريح •• وسيحتج بأنه يحمل لها حديثا من خطيبها اذا ما انزعج اهلها من

زيارته .. ترى أو يمر قبل ذلك على الجريدة التي يعمل بها ؟ ليعطيهم المقال الذي كتبه البارحة ؟.. انه سيعطيه للمطبعة رأسا حتى لا يمر على رئيس التحرير فلعله سيعترض عليه ، أن رئيس التحرير مؤمن بموهبته .. ولكنه أصبح لا يستريح لنظراته اليها ، في نظراته اتهام له .. الجميع يقولون عنه انه عمل مع الحزب الثاني الذي ثبتت خيانته ، واحتقره الشعب .. ومر على المطبعة فاذا به يفاجأ برئيس التحرير هناك .. ولم يستطع الرجوع اذ أنه رآه فقال له : أهلا استاذ خالد ، ماذا لديك ، هل كتبت شيئا ؟ فقال خالد : صباح الخير استاذ وارتبك قليلا متابعا : عندي مقال كتبته البارحة : فقال رئيس التحرير : هاته رأسا فان لدينا فراغا في الصحيفة الاخيرة .. وتناول منه المقال ينظر فيه .. وبعد قليل رفع رأسه اليه بدهشة قائلا : ماهذا الكلام استاذ أو تفتخر بأنك بدون مبدأ لا تكن حزبيا ، فقد انتهى عهد الاحزاب .. ولكنه أصبح لا يستريح لنظراته اليه ، في نظراته بشع .. ورأى نفسه الاستاذ ابو دقن لا يعرف بماذا يجيب .. فظل صامتا .. ولكنه قال بعد قليل : استاذ أنا هكذا أقصد .. ولكنني لا أحسن التعبير لكثرة نقمتي على هؤلاء الناس الذين لا ينسون ، لقد كنت جاهلا .. ولا أعرف كيف أفكر بالحياة .. وانني احصد اليوم مازرعته بالامس .. فربت رئيس التحرير على كتفه قائلا : عفى الله عما مضى استاذ خالد .. والمهم ألا تهمل موهبتك .. وكن حرا .. وقبل أن يمضي عنه خالد مطمئن البال سأله : هل هتفت لمدير برامج الاذاعة من أجل القصة .. انها تمجيد للعروبة .. فقال له رئيس التحرير ، أجل عليك أن تذهب لتسجيلها بعد غد .. ولكنه عندما خرج لم يسترح لابتسامة رئيس التحرير .. أحس أن فيها نوعا من السخرية والاتهام ..

.. ولكنه عندما صار في الشارع .. عاد الى تذكر أيامه ، والى البؤس الذي يعيش فيه اخوته وأمه .. وغير طريقه حتى لا يراه الخياط الذي لم يدفع له هذا الشهر قسط البذلتين اللتين امتلك بهما الاناقة التي تدعم مركزه الادبي ..

... وانتبه الى أنه وصل الى قرب بيت سناء ، ففكر بالطريقة التي سيستطيع بها انتزاع سناء من جديد من صديقه ، لقد انتزعها منه هذا الصديق بعد ان تصور انها ستكون فتاة احلامه أبدا .. تعرف عليها في السنة الاولى الجامعية وهي التي أرادت التعرف عليه لاعجابها بأدبه.. وقد تغاضى عن خيبة ظهرت على وجهها عندما تعارفا .. ولكنها بعد مدة اهانته اهانة لن ينساها أبدا .. لقد وصفت احدى قصصه بأنها سخيفة .. غير انه رغم عدم نسيانه الاهانة غفرها لأنه كان قد قرر أن يكرس كل عاطفته لسناء .. وقد حدثها ولو ببعض الكذب انه سيملك سيارة بعد قليل ، وان ثروة ستؤول اليه بعد وفاة والده الذي توفي منذ سنوات عدة .. ولم يشعر باحترام في نظراتها اليه آنذاك ، ولكنه لم ييأس .. لم ييأس الا عندما عرفها على زميله صدفه فاذا بهما بعد اسبوع فقط لايفترقان ، ثم يصبحان خطيبين .. أما هو .. فقد فكر بالامر طويلا وقرر ألا يتراجع ، سيثبت لها ان خطيبها غير جدير بها وانه سيء الاخلاق وانه فقير .. يغازل غيرها .. واصبح أمام الباب فتردد في طرقه قليلا ، ولكنه اذ شعر بطول وقوفه أمام الباب أحس أن عيون المارة تحملق فيه فضغط بيد مرتعش على الجرس ، ففتحت له الخادم الباب فقال لها : هل الآنسة موجودة : فقالت لست أدري وأرادت أن تسرع من أمامه ولكنه لمح طيف سناء يمر من ورائها ورآى الخادم تقول له بارتباك ، اتفضل استاذ ، فدخل بخطى قلقه وراء الخادم التي قادته الى الصالون ، فوقف كأنه يرى أثاثه المترف لاول مرة، وأحس بجفاف بحلقه ، وجلس قرب المذياع منزعجا وخاصة من ضغط ياقة القميص على عنقه اذ أنه زرره عندما وقف أمام الباب ليبدو أكثر أناقة ، فحل الزر واخرج المشط فسرح شعره بخفة حتى لا تفاجئه وهو يفعل ذلك .. ونظر الى اطار فوق المذياع فاذا صورة صديقه وسناء فتمنى لو بوسعه تحطيم الصورة .. وأحس بفراغ الغرفة من حوله ، ففتح علبة تبغ أمامه واشعل واحدة راح ينفخ دخانها

ويفكر بالطريقة التي سيفتتح الحديث مع سناء ٠٠فاهتدى الى أنه سيتولى لها بعد التحيات والتحديق في عينيهـــا العميقتين ٠٠ العسليتين : انني كما تعرفين أعزك كثيرا ، وتهمني مصلحتك أو انه سيستعمل كلمـة أخرى بدل مصلحتك لأنه يعرف أن سناء تحتقر تعابير من هذا النوع سيستعمل كلمة مستقبلك اذن ، وسيتابع قائلا ، ولهـذا فانني رغم صداقتي لجميل سأحدثك عنه لتكوني عـلى بينة ٠٠ ثم سوف يخترع لها بخياله القصص القوي قصصا عن علاقات كثيرة له وعن حياته وفقره و ٠٠٠ دخلت الخادم فقالت ستأتي ستي بعد لحظات ٠٠ وكان مجلسه قريبا من باب غرفة سناء ٠٠ فكان يحس بلذة وهو يسمع وقع خطاها من وراء الباب ، وأخذ لفافة أخرى دخنها مع القهوة ٠٠ ولكن سناء قد تأخرت ٠٠ وهو وحيـــد في الغرفة يقرض الفراغ وجوده القميء بين هـــذا الاثاث المترف ٠٠ والافكار والمشاعر الشرهة التي تلتهم هدوءه وأحس بامرأة مع سناء ، فانصت فسمع همسها ، واستطاع أن يفهم منه بعض كلمات تدور حول العرس والجهاز والترتيبات له ، ثم سمع المرأة الثانية تقول : عجلي قليلا الاستاذ ينتظر ٠٠ وسمع جواب سناء : ماذا يريد ، قولوا له انني مريضة أو انني لا أريد رؤيته ، انني أعرف بماذا يفكر ٠٠ وأحس بضآلته أكثر من ذي قبل ، وعرف ان لامكان له هنا ٠٠ فقرر أن يخرج ٠٠ ولـكنه شعر بخجل من أن ينزل دون أن يعلم أهل البيت ونقم عليهم ووصفهم بالبورجوازية ٠٠ وأحس بقوى تدفعه لأن يقوم فيخرج ٠٠ وحدق في صورة سناء وصديقـه ، فأحس بحقد لا يوصف ٠٠

٠٠٠ وفتح باب غرفة سناء فأحس بقلبه يثب من بين ضلوعه فنظر نحو الباب بلهفة فاذا بأم سناء تدخل وعلى ثغرها بسمة متكلفة فوقف وتقدم يحييها : فقالت له : عفوا لقد تركناك وحدك كثيرا ٠٠ ان سناء ستدخل بعد قليل ولكنها منزعجة قليلا ، لقد تعبنا منذ الصباح وبعد ظهـر البارحة في شراء أشياء كثيرة عقبالك يا استاذ ٠٠ وأحس بالاشياء وكأنها غريبة عنه ٠٠ وأن جسده أصبح غريبا عن كل شيء فقال كلمات لا يعرف ماهي ٠٠ ثم انسحب من الصالون وخرج من الباب ٠٠ وهو لا يرى شيئا ولا يحس بوجود شيء ٠٠

٠٠٠ الا أن صورة سناء وصديقه تمـــلأ خياله ٠٠ وأحس فجأة بتغير كل مشاعره ، وعندما انتبه الى جماهير الناس الطيبين أحس بأنهم جميعا ينظرون اليه باشمئزاز ويشيرون اليه قائلين هذا انسان بدون مبدأ ٠٠



عودة...

شعر : غادة سلهب حصني

لاتهدهد بالمنى قلبي فقــد عاف هذا القلب في الدهر مناه
يــا اخا الروح وماذا تبتغي من جنى زهري ، وقد جف جناه
اين من عمري زهو نــاضر عاشت الأيام في طيب شذاه
وفؤاد مترفٌ روّعــهُ قدر اعمى فــلم يرحم صباه
كلما ردّد آهــاً من لظى اتبعتها من لظــاه الف آه

★ ★ ★

يانجيّ الروح ارجعتَ الهوى أملاً حلواً ودنيا وحيــاه
وبعينيك ارى يــا ملهمي بسمةَ الدهر ، وقد طابت رُآه
يــدكَ السمحاء قد مرت على قلبي الدامي فأنسته اســاه
فاذا الجرح عطورٌ وشــذى واذا قلبي عيونٌ وشفــاه
عاد محراباً لحبٍ عــاطرٍ انت دنياه وقد كنت رجاه

غادة سلهب حصني

رحلة العشاق

شعر كمال فوزي الشرابي



ما أجملا أن نرحلا
أنـا وأنت وحـدنا
في مركب فريد ...
الى دنى ...
مجهولة ... تغفو بشط بعيـد :
جزيرة صغيرة واحاتها نضيرة
سـكانهـا الطيور
والدفء والزهور
وغيمها شفيف وغيثها لطيف
نعيش في أرجائهـا مـع السكون
مـع القمر
مـع الجمـال الاخضر الحنـون
نعيش فيها على العطور
على الثمر
على القبل
لا غيرة تأكلنا فيها ... ولا ملل !.

عوالم سعيدة أنغامها جديدة
تعزفهـا الميـاه
والحب والحيـاه
وشعبها الطروب لا يعرف الحروب
وليس فيهـا مرض ولا شـقاء
ولا شجون
وليس فيها كذب ... ولا رياء
ولا أناس يثرثرون
ويعبدون
جمع الذهب
لا .. ليس فيها غير سلم يحب !..
ما أجملا أن نرحلا
أنـا وأنت وحـدنا
في مركب فريد ...
الى دنى ...
مجهولة ... تغفو بشط بعيد ...

دمعتان صادقتان

★★★

قصة : بقلم منور فوال

تبعثرت الخطوط الخضراء أمامعينيها كالزهورالمخملية على أغصانها . وتراءى لها الواقع بوضوح فلهثت . ولهثت كثيرا وهي تدلف بشفتها السفلى الى ثغرها .. ان كل مافي نفسها ينبىء بالحزن المقيم في صدرها ، ذراعاها تدوران في الفضاء كأنما تتلمس ظله .. ظله هذا الذي هام في خيالها كأحلامها البعيدة . فهي اذ تشعر بأنها غريبة في هذا العالم الكبير اللامتناهي . تحملق بالآخرين وكأنهم هياكل فارغة تسترها جلود بارشة ، فالكل في نظرها انصاف مخلوقات تعوزهم القيم لتكتمل منهم صفة الانسان .

عندما صادفت الحياة كانت فتية ناضرة . في وجهها دماء حارة ، وفي نظراتها وميض دامع يتغلغل بين أهدابها حتى يخيل « للناظر » أن في عينيها ينبوعا يتدفق بماء طهور - وباختصار - كانت فتاة رائعة شهد لها بذاك الجمال . وبتلك الانوثة الصاخبة ..

لم يكن في حياة (رحاب) قلق يثيرها .. ولا أحداث تزعجها .. فهي وحيدة أسرة ثرية وفرت لها النعيم ، وكل مترف متوفر لها من لذائذ الدنيا ، حتى باتت مضرب الامثال في الوسط الذي تعيش بين أترابه .. وفجأة .. فجأة غير منتظرة استكانت (رحاب) لكآبة مريرة أضفت على وجهها الذبول، وخلبتها السعادةوالسرور ، واستبدلته بالقلق والشرود . مما جعل الاسرة تتساءل حائرة لما أصاب البنت الوديعة التي لم تغب الابتسامة عن ثغرها ، بل كانت ساطعة على وجهها رغم عبوس القدر في يومماطر كئيب . وقد ذهب تساؤل الجميع فيالدار .. وفيالمدرسة التي تعمل فيها كاستاذة لمادة (التاريخ) في البلدة الصغيرة كالتراب في عاصفات الرياح .. ولم يدرك انسان ان قلبا في صدر البنت الهادئة يخفق كالزمان يكاد يمزق هذا الحجاب الرقيق الذي تدميه لمبة يد قاسية .. قلبها .. ما باله صرع برصاصة طائشة أصابته في الصميم ..؟

ومات الجواب على شفتيها . فهي نفسها لا تفقه واقعها. الا أنها تشعر بأحاسيس غريبة تمور فيجسدها ، أحاسيس غريبة، ولكنها لذيذة تشعرها بأن في وجودها -ملابسات- لم تفهم معناها وان كانت بطريقة - الحدس - قد عرفت مبناها ..

وانطلقت هائمة على وجهها ، وفي رأسها أطياف كثيرة تعكس لها الوجود بشتى الصور اذ هي تذكر بأنها رأته .. ورأته كثيرا وهي تذهب صباح كل يوم الى المدرسة .. وكانت نظراته لها أشبه بألسنة البركان المتقدة .. أطرافها حمراء كالروج على شفاه الغانيات . فيها وله يفضح حرمان جائع .. وفي حركاته اشارات المحب الصابر الذي ينام على ألف نوع من الاحساس الغامض.. وكانت هي ترثي نظراته بلمحة طرف تودعها رغائب ذاتها . وكأنها تحاوره :

الطريق طويلة يا صاح .. علام المسير ؟

وعاندت ثورة نفسها . واستسلمت لزمام الارادة ، وركلت أوهام الجديد . ولكنها سراعا ما ألفت قلبها طائرا في سماء لا تدرك مداها .. ان قلبها ليس ملكها .. انه له .. له وحده .. هذا الذي هام فيخيالها ويتبع ظلها ولا يمل صدها . أتراه ..؟

ومرة أخرى ضاع الجواب على ثغرها .. ودلفت قاعة الدرس صامتة . تعيش مع خلجاتصدرها ، وما أنأصابت قليلا من الهدوء ، حتى تناولت « كراسات » الطالبات

وراحت تعمل بها بقلمها الاحمر الرهيب . وفجأة رأت في احدى « الكراسات » صفحة مصورة ، ترمز الى قلب يخترقه سهم . وهو مخضب بالدماء . فهالها هذا المنظر (بكراسة) تلميذة في سنى المراهقة .. فارتجف ثغرها، ولمعت في عينيها طبقة دامعة تكاد تطفر حزينة ، وغابت في عالم يدور في حلقة مفرغة .. اذ أنها تريد أن تهجر هذا الوجود .. الى وجود آخر كل مافيه سـعادة . وحاورت نفسها ونظرات الغضب مازالت عالقة (بالكراسة) ذات المداد الاحمر . تلميذة صغيرة تتلهى بازاهير الحب .. وأنا ...؟ .

وزفرت بحدة . وشبكت أناملها ببعضها كأنها تستعين بها على حدتها . بيد أنها لمت أفكارها الضائعة على دقات (الجرس) يبشر بانتهاء الحصة الاخيرة ..

* * *

عندما انطلقت الى الشارع كانت طبيعية المشـاعر .. وعندما رأته يحدق بها ، ويتبع ظلها اضطرب وجيب قلبها وتبدل فيها الاحساس الهادىء ، فتعثرت خطواتها . وآلت الى وضع تتلمس فيه أن الارض تميد تحت قدميهـا .. وان الشفق الظليل على الكون كاد يذوب عـلى نيران جسدها . فلهثت وجلة كمن يخشـى هبوب (زوبعة) تأتي على كل مافي هذا الوجود ، ولكم أرادت لو أن القدر يسعفها بمنقذ ... (أيا كان نوعه) ليرد عنها هـذا الشبح العنيد الذي يلذ له أن يلفح جسمها بنظرات نارية تثير فيها كل أحساس ، الا أن القدر لم يفعل شيئا مما تريد ، وظل الشبح يلاحقها طويلا . طويلا الى أن غدا ملء حياتها .

لم يكن هذا الانسان في نظرها أكثر من شيء أسمته (المعنى الغامض في الوجود) ولذا كانت تواقة لـكشف غموض هذا الانسان الذي ينم مظهره على اناقة تغري كل فتاة ، بالاضافة الى فراعة طوله ، واتساع صدره ، وتموج شعره ، وسواد عينيه . وهذا كل ما كانت تنشده برجل أحلامها ... جمال يدفعها الى الحب ، ويخمد فيها جذوة الكبرياء التي تعذبت في بركانها .. اذ كانت كل ماتراه في دنياها مجرد أشلاء متناثرة على ضلوع الحياة .والناس في نظرها كالاشباح المترامية فوق الارض لا قيمة لهم .. وهي وحدها فوق المستوى الطبيعي لحقيقة الانسان .. وهذا .. هذا الانسان الغريب الذي يرشقها بالنظرات قد بدل فيها الانطواء الى الانطلاق . فانطلقت الى الدنيا بلهفة مستبشرة علها تسعدها . وتوقظ فيها الحياة .

* * *

ذخر قلبها بالهواجس ، وشعرت بأن وجودها كالحلم السادر .. فهي ما زالت كالجماد ، لا تثيرها الاهواء . ولم تغازلها النسمات . أتراها مجرد انسان على هامش الحياة . لماذا لا تحرر نفسها ، وتنعم قلبها بالسعادة التي يتذوق منها البشر ..

وضاعت في بحر الخيال . ونظرت الى السماء تـارة . والى المرآة أخرى . فانعكس خيالها فوق الزجاج اللامع بأروع ماتكون صور الانسان .. وجهها مستدير الشكل.. عيناها واسعتان تطل منهما جاذبية ساحرة .. وأنفها صغير الحجم ، وثغرها كالياقوت الجميل ، وشعرها مسترسل على صدر عريض يحمل رونق حياتها ..

كان جمالها يستحوذ على اعجابها .. وقد بلغ بهـا الاعجاب الى حد التعشق بنفسها ، فكانت تطرح صورها أمامها . وترى الاوضاع الرائعة التي كانت تجلسها وهي في ربيعها الخامسة عشر .. وكانت تضحك بدلع على أيامها الماضية التي ضاعت من عمرها .. ولم تسعد بها ..ومرة أخرى تراءى في افقها هذا الانسان .. هذا الشبح .. لما يلاحقها .. نظراته تؤج شررا .. عيناه تدوران ولا تقفان الا على وجهها وجسدها .. فما باله .. أليس في دنياه سواها ..؟

ويصطدم الجواب في فمها .. فكانت ترمي نفسهـا فوق السرير .. وتسرح في عالمها وانفاسها تلهث ولا تقف ..

ويطل الصباح كل يوم .. وتستيقظ من النوم مذعورة .. خيالاتها مضطربة .. ولسانها جاف كالمبرد ..ووجهها تكسوه حفرة شاحبة كأنها باتت عمرها أرقة . تجاذبهـا

أوهام لا طائل لها ..

وتذهب في الصباح الى المدرسة .. وتعود في المساء الى البيت . وترى الشبح يترصد خطواتها ..

* * *

ساءت حياة (رحاب) ولازمها المرض بالوهم . واستشعرت أن وجودها كله أصبح محصورا في هذا الانسان الذي ألفيت نفسها مالت اليه .. لا بل أحبته . فهو جذاب الشخصية . قويها ، يتراءى لها كأنما هو فارس أحلامها .. يعيش في دنياها أبدا .. فظله اشراقة الحياة في عينيها ، فان غاب عنها رأت الدنيا قاتمة، والوجود مظلما .. وكثيرا ما كانت تقلق وتضطرب اذا ما مرت يوما لم تره . فكانت تحس أن في نهارها غمامة لا تبشر بالفرح ... ولا شك واقعة . وصدف ما كانت تخشاه. وتحسب له الحساب .. اذ مرت يوما (كالعادة) قاصدة الممر الضيق الى المدرسة .. ولسوء الطالع لم يكن موجودا في مكانه المعتاد . فضاقت . وزمت شفتيها باستغراب . وأخذت تنثر نظراتها في كل مكان . ولكنها لم تره ..

وسارت مضطربة . تعاند خفوق قلبها ..

وصلت المدرسة . وكانت تعتمل في نفسها شتى المشاعر .. وفيما كانت تهم أن تدلف الى الفناء الشاسع . تقدم منها (الحاجب) واعطاها رسالة صغيرة ذات مداد أخضر.

تناولت الرسالة . وامعنت بها جيدا . ثم فضتها بيد مرتعشة . وقرأت ..

آنستي : لم أتبع خطواتك الا لهدف يسعدني ، اذ أجد في شخصك العزيز صورة ثانية لقسمات أختي الراحلة التي تشبهك الى حد كبير ، ولذا آمل ألا أرى على وجهك أمائر الغضب والازدراء ان تماديت في نظراتي الى ...

وما كادت تصل الى تلك الفقرات حتى تلاشت أوهامها وراء الضباب . ونظراتها تعلقت بالخطوط الخضراء كأنما تتلمس ظله .. ظله هذا الذي هام في خيالها كأحلامها البعيدة .

ثمة شيء كان يموج في عينيها كالبريق هو خيط من الدمع ذرفته وهي تخفي الرسالة في حقيبة يدها . وفي صدرها آهة عميقة لا تعرف معناها ..

دمشق : منور فوال

ضاع عمر الهوى

شعر : محمد رشاد رويحة

بعد حبي اياك أنكرت الجثمان — روحي واستنكر الوجه قلبي
برمت روحي الفتية بالشيب — وودت لو عدت أصبو وأصبي
وشباب القلب انطوى في غضون — الوجه طي الشهاب مر بسحب

* * *

فأعيدي شيخوخة القلب والروح — أعيدي لفطرتي الانسجاما
هاك بعضي يستنكر اليوم بعضي — أفهذا الذي يسمى غراما
ان روحي تكاد ترقص نشوى — في أديم يكاد يزوي حطاما

* * *

والسنون الستون خطت على وجهي — غضونا تروي حديث الزمان
وفؤادي غض الشبيبة والحب — شجي الانغام والالحان
يبعث الزهو في اغانيه والنشوة — حتى تبذ بنت الحان

* * *

ويصوغ السحر الحلال من الشعر — لأحلى جيد شهي حليا
عبقري الجمال يوحي الى شيخوختي — الفن ساحرا عبقريا
ويغذي قلبي وروحي فيستبقي — شعوري حيا وشعري نديا

* * *

ما لهذا الجمال في الشعر كفوء — ان هـــذا شعر السماء البديع
كل فن في الارض يعنو سجودا — حيث يبـدو فن السماء الرفيع
يصف الشاعر الربيع وغير الله — خلق الربيـــع لا يستطيع

* * *

أفبعد الستين ذكرى وأحــلام — وحــب ولوعـــة وأمــاني
وطيوف تمر عبر سكون الــ — ليل بين الجفــون مر الثواني
خذ ان اســطعت يا مشــيبي أمانا — لفتى القلب من فتــون الحســان

* * *

ليس بين القلوب للشيب والشــبان — فرق في حسهـا والميــول
بل قلوب الشيوخ أرهف احســاسا — وأضرى جوعا لكل جميــل
انما بادل الجمال الهوى الفتيان — دون الشيوخ في كل جيل

* * *

فأطـــع واقع الحياة اختيــارا — أو تمرد كما تشاء عليــه
ســوف تجثو مستغفرا بعـــد حين — منطق الانسجام بين يديــه
كل قلب في الحب طفل وعقل الــ — طفل مهما حاولت في عينيــه

* * *

أتر اني أحببت قلبــا وروحــا — أم شابا غضا وخلقا جميــلا
فلماذا أقــدم القلب والروح — لغيري من الشباب بديــلا
أفيغني بعــد التغضن في الوجه — وشيبي شـباب قلبي فتيــلا

* * *

ضــاع عمر الهوى وفات الزمــان — أيها القلب وانتهى المهرجان
وتناســت صدى غنــاك الحســان — وتلاشت في نايك الالحــان
أحنــين الى الهوى وحنــان — ليس لي منك يا حســان أمــان

اللاذقية ـ محمد رشاد رويحة

براعم في الظلام (١)

قصة بقلم : اسماعيل عدره

لقد أمضت « ماجدة » ليلة محمومة الانفاس، طويلة !.. انها تفكر في البعيد من حياتها ، وعبارة « حامد » : « وشيكا لتشهدين تحولا خطيرا وجذريا في هذه الشرعة المهزولة » ما تفتأ ترن في أذنيها رنينا عنيفا ، وتلقيها في جو قلق ، مسهد . أي تحول هذا الذي يعنيه حامد ؟ وكيف ؟.. وماذا سيثمر العرق المهدور ، وقد تبدد مع أوراق الخريف ، وهجعة الشتاء ؟!..

ولكن مالها ولهذه الخواطر ..

ان « حامد » يحبها ، وهي تبادله الحب بصمت وحذر ، ولكن كيف السبيل الى لقائه ؟.. وماذا ستكون نتيجة اللقيا ؟. ان (زينب) عاقلة واعية حين أبانت بجلاء أن البراعم لن تفتح في هذا الحب ، وشموس الحرية لن تشرق له !!..

ترى .. أتبقى البراعم مغلقة الاكمام ، والضياء مكموم العيون ؟!.. لا .. ان زينب تغلو في أحكامها ، وتعري الألم من حساسية اللذة ، حين تسدل اليأس على نبتة يتيمة ، بجست الجبل ، رغم ضخامته ، وسمت على سفوحه !..

حامد .. ما أوفاه لزينب !.. لكم هو عف نبيل .. ان غرس بذرة الشقاء في القلبين المتجاوبين ، لاثم ما بعده من اثم ، ولشر من سد ينابيع الخير على حقول الشر نفسه !.. ماجدة .. ابتعدي من طريق الفضيلة . دعي الضياء يغمر الألم ليستبين روعته وعذوبته . وأنت لست بقادرة على رشق الفجر بنثار من الغبشة الهاربة التي لطالما استحوذت على الألق التائه في ليل ما استبان له آخر !!

ولكن علام هم حامد ليلقي بنفسه في التهلكة ؟.. ألم تقل زينب نفسها ان « حامد » قد انتشل قفازات « أمل » من بئر الغابة ، لا من أجل أمل ، وانما من أجلي أنا .. من أجل ماجدة . وما معنى هذا ؟.. هل هو عاطفة الاعجاب وحدها ، كما قالت زينب ؟.. وهل هذه العاطفة تتساوى مع النزوع الخير للوجدان المتسامي مع البراعم المتفتحة ، فتودي بصاحبها الى شفا الموت ؟.. ان «حامد» يحبها ، وما شرعة الفروق بين مسرى اللذة وشعاب الألم في طور النمو ، سوى وهم قاس ، أذكته مشاعر وسنانة مهزولة النشيج .

وفي أمسية غضة مشبعة بنياسم الاقحوان ، كانت ماجدة ترقب « حامد » في منأى عن البصائر الجلفة ، وهو يهم أن يعود من المزرعة الى القرية .

ـ ماجدة !.. ما الذي أتى بك في هذا الوقت ، والليل يتدفق بظلامه الرهيب ؟..

ولم تجب الفتاة ..

وتأمل حامد عينيها ، فلمح فيهما اعتمالا مشبوبا ، فهلع وارتعد :

ـ ماجدة .. قولي .. ما مجيئك ، هنا ، والشمس بارحت المزرعة منذ حين ؟!..

وانفرجت الشفتان النديتان :

هو أنت يا حامد !!

وتهدلت الجفون المتعبة ، وغمر الحب المدفون المحيا الوضيء ، فانتابت « ماجدة » هزة دفاقة من لواعج بعيدة ، انبعثت بهذا الاستحياء العذري الملتهب ..

.. والتقت العيون !..

(١) فصل من رواية بهذا الاسم ، يعدها الكاتب للنشر .

ـ يا ماجدة •• أنا •• أنا فلاح بسيط ، وفي مشاعر هؤلاء انسان وضيع •• وأنت •• أنت ••

ـ لاتقل ذلك •• كفى حزا في النفس ، وشحنا للوجدان بالحراب الجاهلة •• لهؤلاء دينهم ووجدانهم ، ولي ديني ووجداني !

ـ أستغفرك يا ماجدة •• أنا ما قصدت اليك في ابرازوهم ، وانما الى هؤلاء •• أما أنت فشمس تشرق في حنايانا كومض في ساعة حالكة !

ـ حامد •• أتحترم ماجدة ؟

ـ وهل تلومين الجدول الرقراق أن احترم النبع فغنى لنقائه وروعته ؟••

ـ وهل •••

ـ وماذا أيضا ؟••

وأطرقت ماجدة برأسها الى الارض ، وحامد يرمق الوجه السماوي الحالم كيف يتضرج بحمرة الشفق •

ـ ماجدة •• أحبك ••• ولتمزق جسدي ، بعد ذلك ، سياط الظلام وحراب الوهم !!••

وانداحت الشكوك ، وبرق القلب الحائر ، وافترت الشفاه عن آهات الاستجابة الحزينة •

ـ أحبك يا ماجدة •• أحب في عينيك خضرة الأمل، وشروقالبراعم المتفتحة على نهار مشمس •احبفي وجهك النديان ، حمرة هذا الشفق ولمح العدل تسدي للانسان المعذب ، شرعة الحرية وصيانة الألم • بلى •• اني احبك يا ماجدة ، لأني احب فيك الوجدان البرم بالظلام ، والشعور الثر الفائض بالهزة الحنون والرعشة المتألمة !

وقالت ماجدة :

ـ وزينب يا حامد ؟••

ـ زينب ••؟•• انها الموسم الاخضر الذي أرتقب أن أجني منه نجمة لا ينطفىء لألاؤها ولا يعتريها غيوم •

واربدت الفتاة •• وامتقع وجهها •• انه عند وفائه لزينب •• لقد أخذت تحس انها دخيلة على قلبين عبقين بالبرعم المرتجى المنشود • كم هي آثمة !• أتريد أن تهلك نفسين نقيتين في نزوة جامحة ؟ لقد احبت في حامد المروءة الجياشة بالابداع ، والعفه المكللة بالنقاء ، وهذا الجمال الفطري الفاتن •• أما الآن •••

وادرك حامد ما اعتمل في صدر ماجدة :

ـ ولكن زينب تؤثرك على كل بنات « الذوات » يا ماجدة • لكم اثنت على الضمير الحي الذي يستوي يقظا في قلبك يا ماجدة ••

ولكن هذه المشاعر ما كانت لتزيد الفتاة الا ارتعاشا واربدادا :

ـ حامد •• انك تحب زينب حبا يفوق كل شيء ، حتى لماجدة •• قل •• لاتخف شيئا ••

ـ ماجدة •• اني احبك حبا ماعهده بشر ، وليس في طاقة انسان • أتعين ما أقول ؟•• وأحب زينب حب هذا الموسم الذي يغمرني بالخصب والخير والجمال •• ان زينب أمل ينثر في دروبي الشائكة ، الورود والصمود ، ولكن أي أمل نجنيه أنا وأنت ، من حبنا ؟•• ان أهلك ليفتكون بالبراعم الغضة اذا ما علموا أن العاطفة المحرمة الاهتزاز على الألم ، قد اختلجت واستفاقت •

وبكت ماجدة •• نشجت •• سمت الدموع على الوجه الناصع النديان • وامتدت اليد الرحيمة تمسح الدموع وتهدهد الألم :

ـ رحماك لا تبكي يا ماجدة • ان في دموعك فيوضا من طهارة ، تقتلع أدران الزيف من النفوس المغرورة الصلفة • كفي عن البكاء بربك ، وكفكفي العيون ، لقد آن للقلب المعتم أن يطهر ، وللخلجات السودان تحترق• ترقبي •• الفجر منبلج ، والظلام مولى ، والبراعم الهاجعة ازاء مهابط الظلام ، تعانق الشمس !••

وهدأت الفتاة •• هدأت لهذه الايقاعات الحلوة ، ترافق العزيمة الشابة • انها المسحة السماوية تنتشلها من ألم ممض ، فتصفي نفسها ، وتسكن وجيب قلبها ، فتتخيل المستقبل باسما كأقحوانة على فم شاعر !

واذ لمح حامد هذا الهدوء الرطيب ، يغمر الفتاة ،ادرك أي أثر تركه نداؤه لها :

ـ ماجدة •• ألا تؤمنين أن هؤلاء السادة الكبار قد

الشمس المؤودة

قصة بقلم : محمود محمد كلزي

وقف عندها •• ليس فيها شيء جديد انها هي تلك النافذة الشمالية الرمادية • ونفس الشرفة التي يعلوها حبل الغسيل الذي كانت تعلق فوقه عدة قطع من الالبسة وتصلب •• كما صلب قلبه على هذا الحبل الذي شده مدة أشهر الى تلك الشرفة التي تقابل نافذته الجنوبية •• في البيت التي قطنه في أحد احياء دمشق الراقية •• لم يثر انتباهه شيء في هذه النافذة بقدر ما أثارته تلك الستارة البيضاء الكبيرة المعلقة على الحبل •• وبقدر ما اثاره وضع النافذة الموصدة وهي تسبح في جو يشبه جو المقبرة في ضاحية المدينة •• مظلمة تماما لا حركة فيها ولا حياة بعد أن تعود ناظره أن يراها سابحة بالاضواء •• مضمخة بجو عاطر فينان من السحر والرشاقة والجمال•• ما زالت تتراءى له على هذه الستارة البيضاء التي كانت أشبه بشاشة السينما •• ما زالت تتراءى بضحكتها الرنانة •• ببسمتها الوضيئة •• بلفتاتها المغناج •• بثوبها الازرق السماوي وعليه القسم العلوي الاحمر •• تماما يتمثلها أمامه •• كأنه يحيا الايام الماضية الان •• فقد تقلص الزمن في مخيلته • •وعاد به القهقرى الى عدة شهور مضت متشابهة خمولة لا جديد فيها •• وجد نفسه فيها كأنه في حلقة مفرغة يبدأ من حيث ينتهي •• وينتهي من حيث يبدأ •• تلك الشهور التي مضت من سني حياته شعر فيها بالفراغ الهائل الذي يلف حياته • وبالضياع

عتوا فطعنوا الفضيلة في وجهها الاغر ، وانساقوا وراء النزوات السود يهدمون ولا ينشؤون ، يعنون للتقليد التافه ، وينسون نعم الله ، وأصالة الانسان ؟!•• لقد تخدر حسهم ، وماتت يقظة الضمير في مشاعرهم ، واستحوذ الوهم على نفوسهم ، فاذا الفلاح في مخيلاتهم حشرة سامة ، ضارة ، ينبغي تطهير الارض منها بسحقها وموتها ؟!••

وأجابت ماجدة :

ـ ماكنت الا مؤمنة في ما قلت ياحامد • ولكن زحزحة هؤلاء المغرورين عن غرورهم ، وغرس مبادىء الخير والفضيلة في نفوسهم وسجاياهم نزعة حاربتهم فانقلبوا لها أعداء تقليديين • لقد رضعوا البغي وهم اطفال ،وجرى الدم الازرق الكافر في عروقهم وهم فتيان ، وهاهم يصعرون الوجوه عتوا وصلفا ، وقد اضحوا « السادة الكبار » !!

ـ لكل عات نهاية يا ماجدة •• ارمقي هذا النضار المتألق الذي ينبت الحب والخير والحياة ، لقد داسوه وهانوه • تأملي هذه الأكف المشققة التي ماتبرح تفتت التراب ، وتفجر الارض بالمواسم الملأى بالخصب والنماء لقداذلوها وازدروها انهذاالنضارالمتألق ليصفعهم غداةغدفي وجوههم الجاحدة ، وان هذه الأكف المشققة لتقذف بهم الى البعيد •• الى حيث يقبع التاريخ المغلف بالهالة الغرارة ذات المحتوى المخجل !•• ان لكل ليل آخر •• وكذا لكل بداية نهاية !!••

اسماعيل عدره

الذي يأكل من أعصابه •• كما تأكل النار الهشيم •• والآن يقف أمام تلك النافذة الموصدة وكله احاسيس •• مشاعر •• وعيناه غائمتان عن كل المرئيات الا تلك الصورة الجميلة المرحة الرشيقة تطل عليه من الشرفة •• فوق تلك الستارة البيضاء •• وفجأة تنبه الى نفسه ليجدها •• جامدة كالشبح في الظلماء وتلفت حواليه خشية أن يكون أحد الناس قد تنبه اليه وهو في وقفته المريبة •• جامدا وعيناه مصلوبتان على تلك النافذة وقلبه معلق مشبوح على ذلك الحبل ••

ومشى وهو غائب عن الوجود في دوامة من الذكريات •• وراح يتطلع الى تلك البنايات الفخمة السامقة التي تحيط به من كل جانب انه يكرهها •• يكره اصحابها •• اصحاب تلك الكروش المنفوخة والعقول الخاوية •• انهم هم سبب كل بلاء •• وأصل كل علة •• وراح يلعن الظروف التي جعلتهم أصحاب بنايات •• وسيارات •• وخدم •• ويتمنى ان تنهار بناياتهم فوق رؤوسهم•• وان تدوس عجلات سياراتهم فوق كروشهم ••• انه يذكر تماما حين جاء دمشق غريبا ليقطن فيها بعد أن عين فيها موظفا •• يذكر تلك الايام التي بقي فيها مشردا بين أزقتها وشوارعها بحثا وراء ضالته المنشودة تلك التي يدعونها « بيتا للسكن » •• بعد أن اعياه مصرف «الفندق» وبعد أن اعياه الضياع والفوضى وعدم الاستقرار التي يحياها •• انه تواق الى الهدوء والسكينة••الى الاستقرار •• ليخلو بنفسه الى كتبه التي حملها بحقيبته •• والى قلمه الحبيب •• هذا الشيئان اللذان يحس انهما كل شيء في حياته •• هما عزاؤه وسلواه •• ورفيقه في وحدته •• وهما النافذة التي ينفس منها ما يلم به من اشجان وعناء •• لقد اعياه البحث والتنقيب عن تلك الغرفة •• انه لم يترك حيا من احياء دمشق الا غشيه ولم يترك زقاقا الا ولجه •• ولم يترك زاوية الا دلف اليها •• حتى انه لم يترك حانوتا من تلك الحوانيت التي وضعت لافتات كتب عليها « مكتب تسهيل ايجار العقارات غرف •• جناحات •• بنايات » • انه لم يجد بين جدرانها تلك الحوانيت الا كل تضعيب وتعقيد •• فكلما دخل أحدها رأى في صدرها لائحة كتب عليها « أجرة المشوار ليرة سورية تدفع سلفا » •• انه دفع حتى كاد جيبه ينوء بما دفعه دون جدوى فكلما دفع ليرة ليشاهد غرفة عله يجد فيها مأواه المنشود فوجيء بحقارتها وتفاهتها وضيقها •• وعدم صلاحيتها وصعق أمام اجرتها التي تتجاوز نصف راتبه وهي خاوية على عروشها •• لقد مل حتى نفسه وهي تبحث في تلك الاحياء •• وتمنى على نفسه أن يملك بناية ضخمة تناطح السحاب •• ليسكن فيها أمثاله المشردين الباحثين عن مأوى •• ولكن •• هيهات •• فالحظ لا يبسم الا لذوي القلوب القاسية الجلفة •• انه لم يجد شخصا واحدا يسهل له السكن •• لم يجد الا نفوسا فاغرة فاها •• فاتحة اشداقها تريد أن تلتهم كل ما تقع عليه عيناها •• انها تعبد المادة وتخر ساجدة بخشوع أمام ذلك الاله المزيف الحقير •• أصحاب البنايات نفسهم المتألهون على الناس • ولكنهم عبيد للمادة •• انهم هم ذبحوا الكرامة حتى جنوا بناياتهم والآن يريدون أن يذبحوا كرامة غيرهم •••• ورجع في نفس الشارع ليمر مرة أخرى من تحت النافذة عله ينفذ ما أتى من أجله •• انه ما زال في غمرة ذكرياته •• يتخيل نفسه تماما أمام تلك العجوز الحيزبون التي تجلس بجانبها صبية حسناء •• وراحتا تشترطان عليه وعلى زميله تلك الشروط التي كثيرا ما صادفها خلال بحثه عن الغرفة المنشودة •• ولكن شروط هذه العجوز لا يدري كيف ولماذا ارتاح لها •• هل لطيبها •• أم لأريحيتها •• التي تبدو على سماتها واستشفها من خلال كلماتها •• أم لأنه قرر أن يرضخ لكل شرط يقطع عليه بعد أن مل البحث والدوران •• أم أنه هفا لتلك الصبية التي كانت تتدفق منها الكلمات الدافئة •• وتلامس منه الوتر الحساس ؟••• انه لا يدري الا أنه قبل الشروط ••• فلن يدخل الى البيت نساء ـ بعكس ما كان يشترط عليه بعدم ادخال الرجال ـ قبل •• بتلك العجوز والصبية أهلا •• لأنه يشعر في غربته بحاجة الى صدر وثير يتكىء عليه كلما شعر بوحشة جاثمة على

صدره •• ودخل البيت هو وزميله •• وأطل من النافذة ليرى الشارع الممتد على يمينه •• ويرى تلك البنايات الشاهقة أمامه ومن الزاوية العليا للبناية يطل عليه (قاسيون) بكبرياء وتحد •• وفوقه تتلألأ تلك الاضواء كنجوم مرتعشة في ليلة شتاء مظلمة •• وتنفس الصعداء ـ وشعر لأول مرة منذ نزوله دمشق براحة •• واستقرار •• وشعر بأن الكابوس الجاثم على صدره ينزاح لغير رجعة •• وشعر انه يتنفس بحرية •• ويطل على العالم من نافذته الصغيرة •• وفجأة يسترعي انتباهه ضوء يشعل في النافذة المقابلة لنافذته •• ويلوح طيف يتحرك خلف زجاجها الشاف الغائم •• حدق جيدا فاذا به قوام أهيف يتحرك جيئة وذهوبا •• وما لبث أن انفتح الباب لتبرز منه •• انها فتاة جميلة •• رائعة •• انها لم تزل ماثلة أمامه بقامتها الهيفاء •• وصدرها الناهد •• وخصلات شعرها المتناثرة بفوضوية مستلمحة فوق جبينها المرمري •• لقد حدجها بنظرته شأنها شأن بقية الفتيات الجميلات اللائي يصادفهن في طريقه •• لكن الشيء الذي شغله ذلك اليوم هو ذلك الضوء الذي اشعل وأطفىء عدة مرات •• وكلما اشعل تبرز للشرفة لتراقب النافذة المقابلة وترجع بخفي حنين •• وكانت تسترعي انتباهه باشعاعة الضوء وهو يرتب اغراضه ومتاعه •• لأنه اليوم الاول الذي ينزل فيه تلك الغرفة •• ويستيقظ مع زقزقة العصافير •• وينهض من فراشه ويتمطى بارتياح وخمول ••ويطل مرة أخرى من نافذته وهو يستقبل اولى اشعة الشمس الدافئة •• ويرى قاسيون ما زال حالما توشحه سحائب من ضباب الصباح •• ويرى ان النوافذ موصدة لأن أحدا لم يستيقظ ليفتحها • فأصحابها يلفهم الخمول •• وينفخ بطونهم المتخمة •• كما ينفخ جيوبهم الجشع •• لم يشاهد الا تلك الفتاة الصغيرة التي فتحت النافذة العليا لتنظف الشرفة وتمسح الزجاج •• مما زاد من نقمته عليهم •• انهم ينامون يغطون بأحلام لذيذة لتنهض تلك الصغيرة •• فتنظف •• وتمسح •• وتهيء طعام الافطار •• وبينما هو في تأملاته في هذا الصباح الجميل •• اذ يفاجأ بالنافذة المقبلة تنفرج •• وتخرج منها •• انها هي بقامتها الهيفاء •• وثوبها الاحمر •• والازرق •• الذي يحتضن اثمن الكنوز •• ويلف باقة الورد الواهية •• وخصلات شعرها المتناثرة بفوضوية فوق جبينها المرمري •• لكنه •• وجدها في هذا الصباح أروع من ذي قبل •• اذ تبين ملامحها جيدا •• تقاطيع وجهها الوردي •• خدودها المتشربة بدم الغروب •• وشفاهها التي لثمتها شقائق النعمان •• وحدق بها جيدا ليراها تبتسم فيفتر ثغرها عن اثمن اللآليء ••ويرتبك••ويهرع الى ألبسته فيرتديها •• لأن وقت دوامه اوشك أن يحين•

غريب •• انها لم تخرج •• والنافذة ما زالت موصدة •• وما زالت الريح تداعب تلك الستارة البيضاءفتحركها بلطف •• انه لم يتعود ان يرى مثل هذه الستارة تحجب وجه النافذة •• لقد تعود أن يراها مفتوحة حين يفتح هو نافذته •• سيما بعد ذلك اليوم الذي جلس بجانب نافذته يراقبها بكل حركاتها وسكناتها • كانت تدخل لتخرج بعد قليل متشاغلة بتعليق منديل أو جراب أو أية قطعة أخرى •• لقد شعر في ذلك اليوم بدفء نظراتها يغمره •• كما تغمر الشمس الارض المقرورة •• لقد وقفت أمامه •• وعيناها السوداوان ترمقانه وتحيكان الف حكاية وحكاية لم يفهم معناها • لم يدر الا أنه أمام فتاة في عمر الورود •• تقف في الشرفة أمامه تعبث بمنديل بيضاء •• وتقرب منها خدها •• وتمسح شفتيها بظمأ •• وتطمر وجهها بدلال •• وهي تبتسم •• ويرى الورد وشقائق النعمان واللآليء دفعة واحدة ويحس بالشمس تغمر اضلاعه المقرورة •• ولأول مرة تنهار أمامه الصورة المثالية التي رسمها في مخيلته لفتاة احلامه •• وتتلاشى تلك الشروط التي اشترطها •• الجمال •• والعلم •• والاخلاق •• والشباب •• و •• تتبلور في الجمال المنتصب أمامه •• ويمضي في عمله برتابة •• يستيقظ صبحا ليطل من النافذة على الشمس التي تشرق نشوانة من الافق والشمس التي تطل مبتسمة من النافذة ••فلكم ايقظه زميله قائلا : (انهض فقد طلعت الشمس ••)

ليقوم ويرى الشمس حقا ويضحك لهذه اللفتة البارعة ... كان معجبا بجمالها اعجابا استحوز على جميع مشاعره ولكنه كان قانعا بأن يمتع طرفه به .. فلم يتوقع يوما ماأنه سيحبها لأنها قد لا تحوز ولا على بعض شروطه ..ويقف فجأة أمام حقيقة مؤلمة .. اذهلته .. ولكن تلك الحقيقة لم تغير من نظرته نحوها اذ أنه عندما تملكه الاعجاب بها لم يكن يعرف مكانتها من المجتمع . وقد تبلورت كل القيم في نظره في بوتقة الجمال الذي يسطع أمامه .. فكم مرة شاهدها تخرج الى الشرفة لتحدث زميلتها في الشرفة العليا .. الفتاة الصغيرة .. فقد جمعتهماأحاسيس مشتركة .. ومركز واحد .. وكان يؤلمه هذا المنظر ، يهصر قلبه .. يحطم اضلاعه .. لهذا الجمال الموءود بين تلك الجدران وراء أوعية الغسيل ومع المكنسةالحقيرة .. هذا الجمال المتفتح في حقل لا يحوي الا الاشواك.. لقد بات تعذبه رؤيتها .. كما تبهجه . انه اصبح نهبا لعدة أحاسيس : الاعجاب ، والشفقة ، لكنه لم يدر هل للحب ثغرة بين أحاسيسه .. انه لا يدري الا أنه يزداد تعلقا بها مع الايام .. حتى انها اصبحت له بمثابةالشمس التي تطلع كل يوم لتحيي موات الطبيعة .. وكم ساءل نفسه : هل أحبها ؟!.. لتصمت .. وهي تحدجها بنظرات الاعجاب والشفقة .. لقد شرح لزميله بعضا من مشاعره .. فأجابه : انه الحب؟!. وهل للحب عوارض؟! انه ينكر على نفسه ان تحب .. انه يريد ان تكون فتاة احلامه .. جميلة .. متعلمة .. خلوقا .. ذكية .. لكن تلك الصفات يرى انها تنهار تحت اقدام الجمال .. لقد بدأ يحس بنوع من الانعطاف نحوها .. بنوع من العاطفة الحلوة تسربل فؤاده .. لاول مرة يشعر بشيء عميق لا يعرف كنهه .. اشبه بالنار .. بالفوران .. انه لا يدري .. حتى أن شيئا يشبه الغيرة بدأ يتسلل الىقلبه يحرقه كلما نظر احد أصدقائه اليها وهم في زيارته .. فكم هرع الىالنافذة يوصدها ويسدل الستائر عليها كلما حاول أحدهم ان ينظر الى تلك الشرفة التي تقف فيها ... لقد عرف كل شيء عنها .. ورغم ذلك فهو مازال نهبا لنوازع شتى لا يعرف معناها ..انه لا يشك انها تحبه هكذا تقول عيناها .. حركاتها . . بسماتها اشاراتها .. الشرفة تشهد .. وخروجها اليها باعذار مختلفة .. والنافذة المفتوحة .. والضوء الذي يتلألأ وينطفيء .. والصباح الذي تشرق فيه شمسان أحداهما من الافق والثانية من النافذة الشمالية .. حتى المشط الذي يصفف شعرها .. والمرآة التي كانت تهرع اليها لتنظر الى نفسها .. أجميلة هي تستحق حب ذلك الشاب الفارع الطول .. ذلك الذي هبط اليها من السماء يسلي وحدتها .. ولربما تشعر ولو مرة بشعاع من العطف الذي حرمته منه منذ وأدها أهلها عند اصحاب البنايات العالية والبطون المتفخة ..لتغسلالارضوالثياب والصحون .. وتحضر الطعام وهم نائمون على الرياش والحرير .. حتى السيارة التي يخرجون فيها للنزهة هي التي يجب أن تغسلها .. أليس حراما أن يخدم هذا الجمال تلك الدمامة رغم الملابس الفاخرة..رغمالمساحيق والاناقة .. انه يؤثرها على أولاء اللواتي تعودتاجسامهن على الراحة والخمول .. لقد رأى احداهن تخرج بكسل وخمول الى الشرفة ببدنها المترهل البدين ... ما أقبح ذلك المنظر .. وراح يقارن بينها وبين فتاته الهيفاء وخصرها الواهي وصدرها الناهد وخصلات شعرها وحركاتها الرشيقة .. انها بدأت تتلاعب بعواطفه كما تشاء لأنه عرف انه احبها !!.. وقد لا يجرح هذا الحب كبرياءه بقدر ما يخيب آماله التي كان يرسمها .. وتمحي تلك الصورة المثالية التي رسمها في خياله لفتاة احلامه .. أيحب « خادمة » ؟!.. أم انه مجرد اعجاب .. أم شفقة؟ انه لا يعرف سوى أن انفعالات غريبة تضطرم في اعماقه .. ولشد ما يثيره منظرها وهي تسامر رفيقتها الصغيرة في الشرفة العليا .. يلمس الوحشة القاتلة التي تأكل احاسيسها .. وبوده لو يعمل شيئا .. لو يتصل بها .. يكلمها .. يعرف ظروفها .. يرغب أن يكون ايجابيا .. فقد عاف الاشارات .. والبسمات .. والاحاسيس المبهمة الغامضة التي تكمن في صدره .. وتعذبه .. تؤرقه ..

تقض مضجعه •• انه يبحث عن حب •• لكنه لم يعثر عليه•••وهل من المعقول ان يقع حبه على تلك الفتاة المحتقرة المستصغرة ولو بنظر المجتمع فقط •• رغم انه لا ينظر الى المجتمع بقدر ما ينظر الى نفسه •• انها لا تحقق أمانيه الا بالجمال •• نفس الجمال والاوصاف التي رسمها لفتاة احلامه •• ولكن •• هل يكفي الجمال ؟!•• لا يدري •• كم يتمنى أن يقابلها ولو مرة •• ولكن أين ؟!•• انها سجينة •• بين جدران ذلك القبر المظلم •• لقد قرر أن يكلمها أن يجتمع بها بأية طريقة كانت •• لقد عاد من عمله •• ووضع كرسيه بجانب النافذة وراح يراقبها •• وخرجت وراحت في غمرة انفعالاتها •• واشاراتها •• وكان يرد عليها بالمثل •• كانت كأنها لا تصدق نفسها أن ذلك الشاب الوسيم يغازلها • وهي التي لا تعرف في كلمات « سيدها » وابنائه الا كل قساوة وجفاء وغلظة وعنجهية •• كانت لا تصدق انها جميلة للحد الذي بلغته في نظره حتى انها بدلت ثيابها عدة مرات،وغيرت تسريحة شعرها •• لتقول له : هل اعجبك هكذا ؟!•• وبيناهما في غمرة لغة العيون والاشارات •• والبسمات ••• اذ يبرز لهما فجأة ذلك الرجل الضخم الجثة •• يلهث من حمل كرشه •• وكأنه برميل يتدحرج ••• لكم شعر بالصغار والذل في ذلك اليوم •• لقد تقلص على نفسه وكاد يذوب • وتمنى أن تنشق الارض وتبتلعه ••• لقد هجم (البرميل) عليها وراح يشبعها ركلا وضربا ولكما •• واستدار بوجهه نحوه يعيره بهذا الحب والغزل •• أليس عارا أن يكلم خادمة حقيرة •• لقد أنكر عليها أن تحب لأنها عبدة اشتراها بماله •• ولكنه لم يعلم انه انما اشترى جثة هامدة •• ولم يشتر شعورا ••لم يشتر قلبا •• ينبض •• وعاطفة تتأجج •• عندئذ تأكد تماما أن هؤلاء الذين يسكنون البنايات الشامخة •• من ذوي البطون المنفوخة والسيادة الكاذبة •• والالوهية الزائفة •• تأكد انهم ليس بشرا طالما انهم تنكروا للمشاعر الانسانية التي تعيش في جوانح الانسان الذي اشتروه متناسين بناتهم وابنائهم ••• لقد استكبروا عليها أن تحب في الحين الذي تفرق فيه بناتهم وابناؤهم في حمى الحب المحرم •• عندئذ قرر أن يهرب من دوامة العذاب التي تمزقه •• والتي ربما دفعته الى جريمة •• أن يهرب •• ليخلص تلك المسكينة من نار عذابه وجحيم الشقاء الذي سيكتنفها أن بقي أمامها وبقيت أمامه •• قرر أن يكبت حبه ولو الى حين •• ان يقطن بيتا آخر بعيدا عنها ليمر يوما وينتشلها من بؤرة الشقاء الاليم •• وينقذها من هوة الفساد التي تردت بها ••• لقد مر عدة مرات من تحت نافذتها •• ولكنه كان يلقاها أبدا موصدة ••

وها هو اليوم يقف أمام تلك النافذة بعد أن امضى الساعات في ذلك الشارع جيئة وذهوبا لعلها تخرج مرة الى الشرفة •• لكنها لم تخرج •• ترى ماذا دهاها ؟!•• هل هربت •• أم انتحرت •• فألقت نفسها من النافذة •• أم •• أم !•• الف سؤال وسؤال لا يجد له الجواب •• لا يجد الا تلك النافذة الموصدة •• والستارة البيضاء المعلقة على حبل الغسيل الذي يشعر أن قلبه مازال مصلوبا عليه !!••

القامشلي : محمود محمد كلزي

أغنية قلب

« الى طفلي مجد .. أغنية حب من قلبي الموله »

شعر :
علي حاج بكري

يا حبيبا رف في قلبي رفيف الزهر في الارض الجديبة
يا حبيبا نضر الدرب بأمال نديات خصيبة
يا حبيبا أشعل النور بعيني فتلقته طروبة
وحباني من جمال العيش مغناه وطيبه

★ ★ ★

يا حبيبا جاءني والهم يسري في كياني
وفؤادي منقبض الاحلام من جور الزمان
وأنا في حيرة الميؤوس مشغول الجنان
فاذا الدنيا نضار وابتسام وأمان

★ ★ ★

يا حبيبا ألق الطهر بعينيه تبدى
جاءني فاخضوضرت نفسي رياحينا وورداً
وفؤادي هزه الشوق فهام اليوم وجدا
لا تسلني فأنا الصب وقد لاقيت « مجدا »

★ ★ ★

يا حبيبا ان أطل الفجر غناه الحنينا
ثم ألقى في فؤادي نفحة الحب فتونا
وبدا يملأ دنيا البيت ما شاء لحونا
من سوانا يا حبيبي لك قد بات رهينا

★ ★ ★

تحية الشجرة

شعر : غالب البرازي

مهداة الى الشجرة في عيدها

أمنا الارض من ثراها خلقنا — واليها عند الرحيل نعود
هي منا ، ونحن منها بقايا — أين اسلافنا وأين الجدود ؟
فسحت صدرها لكل نزيل — فأتتها قوافل ووفود
كم مفدى بقومه غاب فيها — وتوارى في الترب غيد وصيد
قد مزجنا دماءنا بثراها — ورواها من النجيع شهيد
ان في كل ذرة من ثرانا — عبقا من محامد لا تبيد

* * *

واستحال الانسان في باطن الار — ض نباتا فعاد وهو جديد
فاذا العين نرجس في ربانا — واذا الخد في الربوع ورود
واذا الثغر اقحوان نضير — يشتهيه النسيم عذب برود
وغدا النهد في البساتين رما — نا عليه من البهاء برود
واستعار الصفصاف شعر العذارى — فعليه غدائر وعقود
واذا بالقدود في الروض بان — تتغنى بحسنه ونشيد

* * *

ويشاء الرحمن بعث السجايا — فاذا الكرم من كريم يجود
واذا الشوك من لئيم بقيايا — واذا الياسمين خلق حميد
واذا بالتواضع السمح يغدو — في البراري بنفسجا فيسود
وبدا الكبر في الحدائق وردا — يتعالى بشوكه ويميد
وغدا الطهر زنبقا ناصع اللو — ن حبيبا له الزهور عبيد
قدرة الله في الطبيعة آيا — ت فويل لمنكر لايعود

* * *

حيي أشجارنا وقبل ثراها فهي أهل لنا وظل مديد

هي أم الحفيف مهد الاغاني فهي ناي للمطربين وعود

وهي في البحر زورق وسفين وهي نيراننا ونعم الوقود

وهي محراثنا وسقف حمانا ودعامات بيتنا والسدود

وهي اكليل غارنا يوم نصر وهي الواح نعشنا والمهود

قد اضاءت زيوتها في الدياجي ظلمة الليل فاستنار رشيد

وغذتنا من الفواكه ألوا نا وجادت ولا تزال تجود

أيها الزارعون بورك مسعا كم وعاشت اشجاركم والجهود

* * *

لهف نفسي على حراج أبيدت فتعرت بطاحنا والنجود

وتراءت جبالنا الشم غبرا ء فالحسن من ذراها طريد

خيم الشوك في السهول وغاض البشـ ـر فيها وغاب طلع نضيد

فهي كالبيد أقفرت من ظلال هجر الطير ربعها والنشيد

فاذا لم نثب الى الرشد بادت ثروات وحاق شر اكيد

زينة الكون خضرة ومياه وجمال فشجروا وأعيدوا

أرضنا منبت الحضارة والمجد حنان يشع منها الخلود

حبذا غابة الفرنلق فيها كل يوم لها جمال جديد

هام قلبي بها وهامت نفوس انما الحسن في ذراها فريد

حبذا الغوطة الحبيبة ملهى ومقيلا بكل خير تجود

يا بلادي يا جنة الله في الارض احبيك والفؤاد عميد

صانك الله للعروبة ذخرا وتلاقت على ثراك السعود

غالب البرازي

تراه يحن يوما

قصة بقلم : أم عصام

سكونك يا ليل يعذبني والوحدة تضنيني •• من هدوئك عرفت معنى السهاد ، ومن وحشتك ذقت مرارة الفراق ••

مع صمتك الذي يلفني ، وفراغك الذي يغلف قلبي •• مع سحرك أحببت « سامر » وبين طيات ظلماتك اقترب مني وكلمني •• وكان وعد •• وكان لقاء •• لقاء معك ياليل ومع « سامر » ••

هل انسى يوما رعايتك لي وأنت تخفيني بين مطاوي الطرقات متسللة لبيت « سامر » ، لألقاه وأسعد معه لحظات من العمر معدودة ، هل أنسى أجنحتك المنشورة في غرفتنا ؟ وهل أنسى ظلامك ياليل وأنت تعكس لي فيه وجه « سامر » الحبيب مع ومضات النجوم المتسللة عبر الستائر المسدلة ؟ هل أنسى أنفاسه تلفح خدي ، وهمساته تنسكب مخدرة في سمعي ؟••

انك معي ياليل تنقلها لي كل ليلة !! يالك من ظالم قاسي •• ألا تدعني غافية عن الذكرى ••

تأتيني وطيف « سامر » تعذباني كل ليلة •• وتغادراني وقد أضنيتما مني الجسد وأذويتما الروح •• تاركين الأنات تملأ فضاء غرفتي مرددة « الى متى هذا السهاد »•

ووقفت سلمى عند هذا الحد في قراءة مذكرات هيفاء ؟!•• والتفتت اليها والدهشة تطل من عينيها :

ما هذا يا هيفاء ؟ أتحبينه بهذه القوة ؟ ياللغرابة ؟••

فأجابتها هيفاء : أحبه ياسلمى •• هو قطعة من نفسي •• هو قلبي الذي تجري فيه الحياة •• انه خطيبي ولا أدري ما الذي حوله عن حبي •• ولكن •• ماأنكره على نفسي هو هذا الاستسلام المطلق لحبه •• لغدره •• لنسيانه وجودي مع أني خطيبته وجمعتنا عدة لقاءات •• أتراه يشعر يوما بالحنين ؟ ومتى ؟ والى متى يطول انتظاري ؟•

كيف ينسى ساعات وهبني فيها حب الحياة ولذة الوجود؟كيف ينسى همساته وارتعاشة شفتيه مرددا اسمي •• كيف ينسى اضطرابه واتقاد عواطفه ؟ وكيف ينساني شعلة تستجيب لرغائبه ونحن نرسم خطوط المستقبل معا ؟••

وسارت هيفاء وسلمى عبر الحديقة تعبان من هواء الليل الرطب •• ولمعت نجمتان في السماء •• وتنهدت هيفاء •• ليت آمالها كومضة تلك النجوم •• وهوى شهاب مسرعا •• واضطربت هيفاء •• قلبها يهوي كهذا الشهاب • انه « سامره آت » من بعيد •• يا للصدفة الغريبة ؟••

وسرت في أوصالها رعشة !! وتعثرت الاحرف في فمها لتقول لسلمى هذا هو •• لكن سلمى رأته وقالت :

ـ هذا هو سامر يا هيفاء ••

واقترب سامر واخترق الجموع المنتشرة في الحديقة •• وقد اتجهت نظرته الى سلمى •• وكانت لفتة سريعة من رأس سلمى تجاهلت فيها مروره •• والتقت عيناه بعيني هيفاء •• وهز رأسه مخيبا والخيبة تشمل قسمات وجهه لتجاهل سلمى له ••

مر « سامر » مسرعا •• لم يحمل هيفاء سوى تلك الهزة من رأسه دون أن يكلف نفسه عناء الابتسام لها كأنها لم تكنْ يوما حبيبته وخطيبته •• واعترت هيفاء انفعالات شتى •• ولم تعد تقوى على الوقوف فهمست : سلمى خذي بيدي !! اني لا أستطيع الوقوف ••

وانصبت عليها لهفة سلمى :

ـ مابك يا هيفاء؟ ولم هذا الضعف ؟••

وابتلعهما المنعطف الى الدرب الثاني •• وشردت أفكار هيفاء رغم آلامها مع « سامر » •• انه هنا !! معها في الحديقة •• يتنسم الهواء الذي تتنسمه •• بين الزهور

ومع الليل •• وأنت أعماقها •• يا لقساوته •• يمر متجاهلا وجودها ؟ كأن الايام لم تفرقهما كثيرا •• وأن طير شجرة •• ورددت أعماق هيفاء : انها أنثى الطير تئن لفراق حبيبها •• انه مع انثى أخرى حتما ••

وعزفت موسيقى من البعيد •• وتتالت أنفاس هيفاء•• لقد عاد !! عاد سامر وعادت عيناها تبحثان عنه •• وتعثرت خطواتها وشردت روحها مع ذلك الوجه الذي تمركز في خيالها لا يبارحه •

أما هو فيبدو أن عواطفه كانت مع سلمى لأن نظرته كانت لها فقط •• وحيته سلمى •• وأجابها مبتسما والسرور باد على مقاطع وجهه ، وعيناه مستغرقتان في التأمل في وجهها •• مر بعد أن غاب عنه وجه سلمى •• مر كأن هيفاء لم تكن أمامه •• وبجانب سلمى ؟ وكأنه لم يعرفها يوما ؟••

أما هيفاء فكانت على سذاجتها في تقبل كل ما يفعله سامر تتفرس في وجهه •• وفي جمال ابتسامته التي كانت لسلمى وليست لها •• هزتها رعشة شوق وذكرى •• كانت فيها يوما بجانبه •• ياللتبدل الزمان ؟ ويا لتبدل الانسان ؟••

وخيم صمت مطبق بين هيفاء وسلمى طوت فيه هيفاء جوانحها على آلام غزتها وكبتتها في أغوار نفسها وماذا تقول ؟ •• أتقول لها : في أعماق سامر حب لك ياسلمى؟

ويبدو أن سلمى قد صمتت أيضا لتنفي عن أفكارها وأفكار هيفاء مالمسته من اضطراب سامر وهي التي تعلم علم اليقين مدى حب هيفاء له ••

الحديقة تفج بالناس •• همسات وضحكات تدوي في آذان هيفاء •• وتمتزج مع صمت سلمى •• أتراهم حقا سعداء ؟ أم مثلها تنزوي الحسرة والكآبة بين طيات نفوسهم ؟ وتغلف الآلام قلوبهم المعذبة •• وعادت هيفاء الى بيتها •• وتسمرت أقدامها أمام صورة زوجها الراحل منذ خمس سنوات •• حيث تركها وحيدة في الحياة تعاني مرارة الوحدة والحرمان •

وعادت لخاطرها ذكرى الليلة •• ذكرى تحية سامر لها « خطيبها المدعي » ونظرته لسلمى •• انه رجل والرجل لا يعرف القناعة في حبه •• ولا الاكتفاء بامرأة واحدة •• لقد وثق من حب هيفاء ، فلم يبحث عنها ؟•• وهي التي تزحف اليه لاهثة راضية •• تتمنى من عينيه نظرة تختزن فيها شيئا من السعادة والراحة •• انه يبحث عن سلمى التي لم يحصل على حبها بعد ••

ما أغرب وقائع الحياة ؟•• أكتب عليها هذا الحب اليائس والعذاب المفزع ؟ هل في الوجود أفظع من أن تحب انسانا لا يحبك أو لايوليك شيئا من الاهتمام •

ومضى ليلها في سهاد •• واعتاد هذا السهاد مصاحبتها منذ أن عرفت سامر •• سامر الذي أحبته بكل جارحة فيها ، وخدعت يوما بحبه لها ؟ من صرعها بنظرة من عينيه ؟ من اقترب منها مخيرا لا مسيرا وتواعدا على الحب والزواج ••

لقد تسلل الى حياتها وملك وجودها ؟! ولمست الحب منه في أويقات غفا الزمان فيها عن حرمانها وعذابها ••

لقد اغترفت الحنان من عينيه بحرا واسعا لا يعرف مداه •• كيف تنسيها الايام احساساتها المضطرمة وهو يضمها بقوة الحب النابع من الاعماق •• ما أغرب عواطف الرجل ؟ كيف يستطيع نسيان ساعات لم تستطع هي نسيانها ؟ كيف يستطيع محو ذكراها من خاطره ويبيت هادىء البال ؟ ألا تذكره صفحة خده بخد لامسه متقدا محموما يجري الدم فيه فوارا عنيفا ؟ ألا توحي له جنبات غرفته بذكرى لقائها ؟ أما سمع أنفاسها تتردد وتلفح أنفاسه •• ألا يذكره بها ذلك المقعد •• ألا تبرهن له هيفاء عن هيامها وحبها حين كانت تأتيه متناسية أنها لم تصبح زوجته بعد لتسترق من زمنها معه ساعات حلوة لن تنساها ما عاشت من الايام •

كيف تنسى انسياقها في هذا الحب الذي حطمها ؟ وكيف تنسى رشفات السعادة التي جرعتها قطرة قطرة بين يديه ؟ كيف تنسى تحفظها الذي ذاب وانصهر معه حين انطلقت نفسها على سجيتها التي كانت قد كبتتها الايام ، والتي لم يلمس انطلاقها أي انسان سواه ؟ حتى

ولا زوجها الراحل ؟!..

وتملك هيفاء شوق جارف لسامر .. فنهضت من من سريرها الى الهاتف تطلبه .. وجاءها صوته الحبيب عبر الاسلاك .. ونسيت ثورتها ونفسها مع نبرات صوته العميق ..

قال سامر :

ـ كيف سلمى يا هيفاء ؟ لقد كدت أتصورها تمثالا من الشمع بتحيتها الباردة لي .. وتغلغلت الاجابة في أغوار هيفاء المتألمة .. كانت تود أن تقول له : ألا تكفي حرارة تحيتك لها ؟ لكنها قالت مازحة :

ـ ما هـذا يا سامر .. أين أصبحت أنا ان أوليت اهتمامك لسواي ..

قال ضاحكا : أنت في قلبي ..

وقبلت جوابه بمرارة وهي تخدع نفسها بصدق ما أجاب ..

وهمس سامر : أريدك الآن يا هيفاء .. أنا في انتظارك .. وصمتت ، ومتى كانت ترفض له طلبا ؟ ولم لاتختزن ليلة أخرى لليالي حبها معه ؟ لم لاتداوي جراحها وعذابها بلقاء آخر .. ربما يكون عند وعده في الزواج منها .

وذهبت اليه .. واستقبلها كعادته في فتور .. لكم كانت تتمنى أن ترتمي بين يديه تسكب الشوق الذي أرقها .. ودخلا تلك الغرفة .. غرفتهما .. وارتمت هيفاء على المقعد الطويل .. وارتمى بجانبها .. وضمته يداها بقوة .. وعاد اليها سامر .. وعاد حبيبا كله عاطفة وحب جارف .. ومرت لحظات هائئة على هيفاء .. لم لا تعيش على ذكراها طوال العمر ؟. لكم تبدو تلك الكلمة بعيدة .. طويلة الأمد .. ونحن جاهلون متى تقف حدود العمر ؟..

وودعته هيفاء وانسلت الى الطريق بعد أن اغترفت آخر نظرة من وجه سامر .. خرجت ولفتها ظلمة الليل الحالكة .. ولفح وجهها هواء الليل البارد .. وسارت كالشبح الضائع .. انها هناك مع سامر .. ودوى صوت بوق سيارة تقطع الطريق مسرعة .. ولم تسمع الصوت هيفاء .. لقد كانت مع همسات سامر .. وهي تسائل نفسها متى تراه ثانية ؟ .. وهل يبر بوعوده ويتزوجها ؟.

وتلوى الجسد تحت السيارة التي سمع صوت ارتطامها بالجسد قويا .. لقد غدت هيفاء في لحظة خاطفة جثة هامدة .. تسيل منها دماء قانية .. وشفتاها مكورتان على بعضهما ، كأنها بدأت تصرخ « سامر » حين فاضت روحها آخذة معها حبها وعذابها .. تاركة له ذكرى ستطمرها غبار النسيان وتجعلها ذكرى باهتة منسية ..

أتراه يشعر بالحنين ان مر ذكر هيفاء في خاطره يوما.

أم عصام

رسالة الى ديغول

بقلم : خليل خوري

اي شارل ديغول

عندما يفقد الانسان البراءة ، عندما يتكاثف الصدأ فيغزو جوانب نفسه فتفقد أصالتها ، عندما يقل وقوف الانسان أمام ضميره ويقل اصغاء الانسان لصوت ضميره وعندما تخفت حدة الصراع بين الخير والشر في نفسه ، يغدو ضربا من العبث أن نخاطب فيه ضميره أو نستثير فيه روح الخير . يومها نفقد الايمان بعدالة المؤسسة التي يمثلها لاننا نكون أمام امرىء عدا طور الصراع ، طور أزمة الضمير الى حالة موات الضمير كليا ، وتبلد النفس بحيث أننا نغدو في شبه يأس من مخاطبة الطفل فيه ، مخاطبة البراءة فيه ، مخاطبة الضمير والتوجه الى الانسان الغافي أو الميت في نفسه .

ومع هذا فاني سأحاول أن أستثير فيك ما تسمونه أنتم الفرنسيين ضميرا ، وتعتدون به اعتدادا كبيرا ، وان كنت على مثل اليائس من التوصل الى ذلك .

وأنت شارل دوغول ، رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة ، تنعم بعداء ستين بالمئة من الشعب الفرنسي رغم أنك في نظره أبو فرنسا الحرة ومصمم المصفحة التي كانت حدثا كبيرا من أحداث الحرب العالمية الاولى ، ورغم أنك خضت في سبيل فرنسا غمار حربين أنقذتا سمعتها الى حد ما .

واذا كنت تنعم بعداء ستين بالمئة من الفرنسيين وأنت في نظرهم باني أمجاد ، فسأكفيك مؤونة معرفة عدد الذين يكرهونك بين الاطلسي والخليج العربي .. كلهم عدا عملاءك ، واذا قلت أن جميع العرب يكرهونك فمعنى ذلك أنك تمثل في نظرهم شيئا لا انسانيا تماما كالكوليرا وكالمقصلة وكالقنبلة الهدروجينية وكالغاز الخانق .

ولست في حاجة الى أن أشرح لك أسباب هذا الكره فأنت تعرفها على أوضح .

رسالتي هذه لست أعرف ما اذا كانت ستصلك أو تترجم لك ولست أدري ما اذا كانت في حال وصولها اليك ستثير فيك ضميرا غفا وحساً عفا أو كاد .

ثم اني لست أصلبك كما سيتبين لك منها . فأنا لا أستطيع الا أن أجد مبررا لحياة الشعب الفرنسي ولكني لا أستطيع أن أجد مبررا لموت الشعب الفرنسي الذي تزج به في معركة خاسرة ، أنت تعرفها خاسرة مهما راوغت فيها ومهما حشدت لها ومهما استعديت على محاربيك فيها .

ان اللعنة التي تصبها الام الفرنسية يوم يأتيها نعي ولدها في الجزائر لا تصبها على من قتلوه ، ولكنها تصبها على من أرسلوه ، وتسببوا في قتله ولها الحق لانها تعرف أنه لا مغنم لها في حرب الجزائر ولانها تعرف أن ابنها لم يمت في سبيل انقاذ شرف فرنسا وانما في سبيل توكيد عار فرنسا في الجزائر ولا انسانية القائمين على أمورها .

وأنا اذا وجدت مبررا لحياة الشعب الفرنسي، يتلخص في حقه في الحياة ، فما أحراني أن أحقد عليك يوم أراك تقوم لتؤمن له الحياة بحرق الجزائر وبتقتيل شعبها .

اذن فأنا أبرر لك حياة فرنسا وشعبها ، ولكني لا أبرر لك أن تؤمن لها حياتها على حساب استثمار انسان في القرن العشرين بله تقتيل شعب وحرق بلاد .

كل رغيف تأكله ، اعلم ، ممزوج بدم، في وعي وعيك تعلم هذا ، اذن أنت تأكل رغيفا ممزوجا بدم ، دم شعب .

ومن جبل رغيفه بدم انسان ، ليس انسانا .

أنا أكتب اليك ما أكتبه بلهجة عاطفية ، نوعا ما .

تأمل ، أنك على أبواب شتاء عام الستين ، تأمل ، فقد يأتيك وأنت تأنس الى أعوامك السبعين ، ملتفعا بعباءتك ، المنسوجة بوبر ابل من عندنا ، قرب الموقد تنعم بالدفء ، تأمل ، قد يأتيك ، نعي وحيدك ، في الجزائر ، فتثور ، وتدمع عيناك ، ثم تروح تهدىء من فجيعة أمه ، ثم تقنع نفسك بأنه في سبيل الجمهورية ما مات ، ثم ، بينك وبين نفسك ، تتساءل .. أصحيح أن ابني مات في سـبيل قضية ، ثم انك ، تأمل ، قد تتوصل في استنتاجك الى أن يكون جوابك على تساؤلاتك آن ابنك قد مات من أجل قضية . لكني أسألك ما هي القضية ؟

انك تعرف أن فرنسا عادية على الجزائر . وفي أعماق أعماقك تقر بلا انسانية محاربة فرنسا للجزائر فهل في وسعك أن تبرر موت ابنك ؟

ان مئات من الشباب ، عربا وفرنسيين ، يموتون كل يوم . اسأل نفسك لماذا ؟

أما أنا فاني أعرف أن العرب يموتون في سبيل شرطهم الانساني : حريتهم ، هذا هو جوابي .

أما جوابك فكيف سيكون ، لاجل أي شيء يموت الفرنسيون ؟ لاجل حياة فرنسا ؟ كذب . ففرنسا تعيش بلا الجزائر كما أنها عاشت بلا هند صينية وبلا سورية ، وبلا لبنان .

من أجل عظمة فرنسا ؟ كذب ، فليست العظمة في اللاانسانية .

من أجل الحرية ؟ كذب ، فما من أحد يعتدي على حرية فرنسا .

ما هي الحقيقة اذن . ليست هناك قضية ، وانما هناك كذب على النفس .

ما أحرى فرنسا أن تتحرر من سيطرة ما يمسكها من نفوذ ، قبل أن تفكر في أن تدعي أنها أم الحرية .

أنت تعرف فيلما فرنسيا منع عرضه ، لأن فيـه أن الشمبانيا الفرنسية ، ألذ من الكوكاكولا الامريكية .

أنت تعرف أن لديكم قواعد عسكرية لدول أخرى . أفلا ألتفت لتخليص فرنسا منها ؟

ما هي القضية ؟ لا قضية ، وانما أنت تركب رأسك . عفوا اذا أحسست جرحا لما تسمونه لديكم Amaur Propre في رسالتي .

اني أتذكر جيدا يوم مددت يدك وصافحتني .

كان ذلك في السويداء ، جبل العرب ، عام ١٩٤٢ أو ١٩٤٣ على ما أحسب . وكنا يومها نحن طلاب مدرسة راهبات القديس يوسف للظهور ، نستقبلك محررا أكبر لفرنسا .

علمتنا الراهبة يومها أنك أحد بنـاة العالم الحر . صوروك لنا قديسا ، ورحت أنا أردد مع الطلبة كالببغوات الاسطوانة ، علمتنا اياها راهبة فرنسية « عاشت فرنسا » عاش منقذها الاكبر شارل ديغول ، عاش العالم الحر . رحت وأنا أردد كالببغاء ـ وبعفوية التسع السنوات التي أحملها ـ هذه المعزوفة ، أتأملك بقامتك الفارعة ووجهك الغريب التقاسيم ، وما كنت أسمح لخيالي يومها أن يجمح فيصورك ، بعد أن علمونا أنك عنوان من عناوين الحرية ، يصورك أنك ستغدو جنكيزا ، أو آتيلا ، أو هتلرا جديدا .

كان في ذهني يومها ، لكثرة ما قرأت تاريخ ثورتي ١٨٧٦ و ١٧٨٩ ، كان في ذهني صـور مشرقة لرادة الحرية ، وما كنت لاصنفك الا الى جانب لافييت وبنيامين فرانكلان .

لعلك تلاحظ أني لم أخاطبك منذ أول كلمة وجهتها اليك في رسالتي (يا سيدي) لاني لا أسمح أن أخاطب انسانا ، وأعترف أنه جلاد ، بكلمة يا سيدي .

ومع ذلك سأجعلك تفرح بسماعها من شاب عربي .

يا سيد..

لماذا تجعلني أكره هوغو ولامارتين وشاتوبريان ؟

لماذا تدفعني الى أن أعتبر تكلمي باللغة الفرنسية خيانة لقومي ولقضية شعبي .

لماذا تحملني على الحقد على كل ما هو فرنسي ؟

لقد أحببت فرنسا روسو وفولتير ومريميه .

أحببت فرنسا باستور ، وكوري ، ومونغلفيه .

لكني أكره فرنسا ديغول . لماذا ؟

ان يخامرك أن الجزائر تلقي السلاح ، شيء انزعه من ظنك •

سنقاتلك ليل نهار ، برا وبحرا ، أرضا وسماء ، صيفا وشتاء حتى تتحرر الجزائر فاقتنع •

ان تتصور القدرة على افناء الشعب الجزائري بآلاتك الجهنمية ، شيء أبعده عن تصورك ، أنت تعرف ، كيف يصمد لك الشعب ، وانك حتى لو أفنيته ، فسنقاتلك ، في ليبيا ، ولبنان ، وتونس والعراق ، ومراكش والعربية المتحدة واليمن وحضرموت ، والاردن وقطر والكويت •

ان تتخيل أن لك عمدا وركائز ، عملاء وجواسيس ، خدما وأنصارا لا تتخيل ، فالبلاد للشعب وليست لهؤلاء ، وأنت انما تحارب الشعب ، والشعب يعرف أعداءه •

ان تتوهم أننا نتعب من الحرب ، سائل تاريخنا يجبك ، أنها ألذ ما تكون على قلبنا يوم تكون دفاعا عن حريتنا ، عن حقنا •

ان تردد على نفسك ، أن تقنعها أن في وسع بنادقك أن تخط لنا مصيرنا ، شيء أود لو تقنع نفسك بعكسه فقد يكون أجدى لك •

المعركة تدخل عامها السادس مشرقة وهأنتذا ، ومن قبلك ، تقذفون بالفيلق بعد الفيلق ، وبالفرقة بعد الفرقة الى فوهة البركان الثائر ، فأي انتصار أدركت ، سوى ان أي موقف يحفظ عليك شرفك ، ويدخلك في تاريخ عن الجزائر كنى فرنسا بمقبرة فرنسا ، فالى أين ؟

أيما مثقف فرنسي ، أيما دافع ضريبة ، أيما حر في العالم ، يعرف أن فرنسا على خطأ ، وأن الفرنسي لا يخوض معركته في سبيل عظمة الشعب وانما في سبيل الامبريالية ، والاحتكارات والسيطرة المالية والبرجوازية الصهيونية المتحكمة في رقبة فرنسا •

واذا كنت فرنسيا حرا فلماذا لا تخلص فرنسا من هؤلاء قبل أن تفكر في حرب الجزائر ؟

ماذا لو أنك وفرت الشباب الفرنسي ليظل لفرنسا منتجا ، أنت تعرف أن فرنسيا حيا في فرنسا خير من فرنسي ميت في الجزائر •

أنا أعرف ما تلاقيه من ضغط أصحاب المصالح ، لكن أي قوة في الارض لا تستطيع أن تمنعك من أن تقف ولو وقفة انسانية •

ان أي موقف يحفظ عليك شرفك، ويدخلك في تاريخ العظماء من الرجال لا يكلفك أكثر من أن تعود الى ضميرك ، أن تؤمن بحق الشعب ، أي شعب في تقرير مصيره •

أنت تعرف أن الحرب لن تهدأ ، وأن جيش التحرير صامد صمود القدر وأن العرب لن يتزحزحوا حتى تتحرر الجزائر •

وأنت تعرف أن خمسين عاما ستمر قبل أن تعوض فرنسا شبابها الضائع في الجزائر ، وأنت تعرف أن سيأتي يوم يتمرد فيه عليك الشباب الفرنسي فلا تجد فرنسيا ترسله الى الجزائر •

وأنت تعرف أن مالية فرنسا لم تتوازن منذ أربعين عاما، وأن الحرب الجزائرية تلتهم ميزانيتها •

فماذا عليك لو وفرت الانسان ، ووفرت شرطه المادي•

ماذا عليك لو خسرت معركة فسجلت على نفسك هزيمة حربية لنسجل لك انتصارا انسانيا ، وليس في خسارتك معركة ما يجرح فيك الكبرياء اذا ما كنت تتعمد أن تنسحب منها واعيا ، لتجنب الجزائر وفرنسة مآسي لا تعرف أنت ولا يعرف سواك حتى متى ستستمر تلتهم الاخضر واليابس ، الانسان والجماد ؟

مصيرنا نحن نقرره •

يبقى عليك أن تفهم ذلك ، أن ترحم فرنسة والفرنسيين •

أما الجزائر فستتدبر أمورها بنفسها •

ترى رسالتي ستوقظ فيك ضميرك الغافي •

تراها ستوقظ في نفسك الانسان • والبراءة ؟

تراك ستفهمها ؟

أرجو ذلك ، وان كنت يائسا أو شبه يائس •

خليل الخوري

من جمعية الادباء العرب

ثائـــره

« الى فتاة عربية ثائرة ٠٠ الى مناضلة جبارة صامدة من جزائرنا الحبيبة ٠٠ اليها أهدي قصيدتي هذه »

هشام

حدثتني ٠٠
ذات يوم مغربية
عن بلاد
عن حقول
عن قصور
عربية ٠٠
قال فيها : كافر
فاجر
لم يخف حتى الاله !٠٠
ذات يوم قال فيها :
أجنبية ٠٠

* * *

حدثتني اليعربية
عن مذابح
عن فضائح
عن مجازر
عن خسائر
عن بطولات عظام :
في الجزائر
حدثتني :
عن أناس ناضلوا
عن أناس قاتلوا
كل ظالم
كل آثم
كل كافر
كل فاجر

* * *

حدثتني الثوروية
عن جميلة
عن فتاة ناضلت
عن فتاة عذبت
منذ أن كانت صغيرة
الى أن باتت أسيرة
بسجون
بقلاع
بحصون
عاليات
شامخات
وكبيرة

* * *

بين جدران حديد ٠٠
رقدت تلك الصغيرة
وغفت تلك الاميرة
الأسيرة
بين أنياب وحوش كاسرة
وبلا ذنب جنته
غير أن الحر لا يخشى «الحقيرة»
بل يقاتل
ويناضل
ويدافع
عن بلاد
عن جبال
عن سهول
عن حقول
عن قصور
عن قبور
ملكه ٠٠
ملك أجداد وآباء مضوا
لم يقولوا ذات يوم :
أنها ملك فرنسا
أنها ملك الحقيرة
تلك من باتت صغيرة
بل فقيرة
وأجيرة !٠٠

* * *

حدثتني اليعربية
عن جرائم
عن مظالم
عن وحوش
تنهب الاطفال من وسط المدارس
تخطف النسوة من بين الكنائس
تحرق الدور وتهوي بالمساجد
والمعابد !٠٠

* * *

حدثتني عن حرائق
حدثتني عن مشانق
عن ليال حالكه
عن وحوش كاسرة
حدثتني ٠٠
كيف أن الجبناء
هدموا حتى قبور الشهداء
نهبوا حتى بيوت الفقراء

* * *

حدثتني ثم قالت :
يا فرنسا ٠٠
ان في أرضي أناسا
وضعوا المجد أساسا
لبناء عربي شامخ
ليس فيه لدخيل
أو عميل :
ملجأ
فيمهد
لحقير أو أجير
أن يبث الفتنا
أو يثير المحنا
يا فرنسا ٠٠
لن تذلي العربا
أو تثيري الريبا
بل أذلوك قديما ٠٠
وحديثا
فارحلي عن أرضنا
واتركي خيراتنا
اننا قوم أباة
ما أذلتنا الحياة

جامعة دمشق ــ هشام و



احتفلت بلغاريا في السابع من كانون الاول ١٩٥٩ ، واحتفلت معها الاوساط الادبية التقدمية في العالم ، بالذكرى الخمسين لمولد شاعر اعطى الكلمة الطيبة وبذل الدم السخي الكريم في سبيل شعبه وفي سبيل الحرية وفي سبيل الانسانية .

ولد فابتزاروف في كانون الاول عام ١٩٠٩ في مدينة بانسكو القائمة في سفح جبل البيرين ، الذي غنته الملاحم الشعبية ، ورددت ذكره الاساطير المقدونية .

انهى علومه الاعدادية وتسجل على الاثر كطالب حر في مدرسة الميكانيكيين البحرية في مدينة فارنا . وكانت هذه المدرسة تعد الطلاب ليكونوا فنيين في الاسطول والطيران والجيش . وكانت تدور مناقشات بينه وبين رفاقه التقدميين ، فهم يختلفون معه ويختصمون ويكشفون عن الاخطاء التي يتردى فيها بالنسبة للشعر والحياة .

وفي عام ١٩٢٩ انهى دراسته النظرية في المدرسة البحرية وبدأ الدروس العلمية التطبيقية في الاسطول . وكانت الخدمة القاسية والحياة المرة المحرومة من الحقوق تقرب بينه وبين رفاقه وتحكم حولهم نطاق الاخوة . ومن هنا بدأوا يناقشون دور الشعر ومهمته . وشيئا فشيئا تجاوزت المناقشات حدود الشعر والفن لتشمل القضايا الاجتماعية الجديدة التي لم يكن هؤلاء الطلاب والشباب قد درسوها جيدا . وغامت صورة العصفور الازرق في مخيلته وامحت بينما كانت تتوضح أمام عينيه مهمته في التعبير عن آلام الكادحين .

واقتربت نهاية التدريب . وكلفه رفاقه بأن يلقي خطاب الوداع ، فكشف في خطابه الحقيقة المحزنة التي يجد فيها المتخرجون الشباب انفسهم تحت براثن البطالة وكان هذا الخطاب تظاهرة ثورية جماهيرية ، اذ لخص بايجاز وبلاغة ما يمكن ان يكون المستقبل عندما نصبح ابناء عهد مختلف كل الاختلاف عن العالم الرأسمالي ، وطريقة علمية خلقية مغايرة تماما للرأسمالية .

وانتقل الشاعر الى حياة البطالة أولا ، ثم استطاع أن يعمل وقادا عاديا في مصنع ، ووجد لاول مرة بين قوم يستنزفهم المجتمع الظالم ، ويكلفهم من العمل فوق طاقتهم ويعذبهم الجوع والعوز . ولم يستطع أول الامر أن يجد بينهم الوسط الذي يرتاح اليه ، فعاد الى مطالعاته ، وذكرته كتابات غوركي بأن من هذه الجماهير الكادحة المستعبدة ينبعث الرجال . وسرعان ما اكتشف شيئا فشيئا ان هناك لغة مشتركة ومصالح واحدة تقرب من العمال الذين اتخذوا منه نصيرا ورفيقا ومثيرا ومرشدا في جميع مشاكلهم الفكرية وصراعاتهم المهنية . وقد اغنى كل هذا حياته وملأها ، وارسى ثقته بالانسان .

ولكن هذه الاجتماعات وهذه الحملات التي كان فابتزاروف قطب رحاها نبهت سادة المصنع اليه فصرفوه مع كثير من العمال لدى اول اضراب .

ذهب فابتزاروف الى صوفيا باحثا عن عمل . ورغم انه بقي اشهرا وهو عاطل كان يشعر بانه سعيد . لقي معارفه كتابا قرأ لهم الروايات والقصص والاشعار والمقالات وصقلوا شيئا فشيئا جوهر الهامه ومعلوماته ونضجه السياسي ، ولكن البطالة كانت ترهقه :

ليس لدي خبز . ليس لدي ما اغذيك به .
انظر .. سوف اهدىء جوعك بالايمان !!
وكم تكون الحياة سعيدة عند ذاك ..
سنغني جميعا ، نغني ونحن نعمل .
ولكنها ستكون اغاني سعيدة
تمجد الانسان .

كان الانسان الجديد يولد في فابتزاروف ، ولكن كان

عليه أيضا أن يجد ما يأكله • وعمل وقادا في مطحنة ، ثم وقادا بين عمال الخطوط الحديدية المشهورين بماضيهم الثوري وتقاليدهم النضالية المجيدة • وفي هذا الوسط العمالي الجديد وجد فابتزاروف قوى ايجابية خلاقة اعطت شعره نبضا حيويا جديدا ، واصبح أكثر واقعية •

ولاحت بوادر الحرب العالمية الثانية وتوضحت •ودق فابتزاروف ناقوس الخطر :

الحرب ! والجائعون بلا عدد !
الحرب ! والموت اللامجدي يهز العالم •
مصانع « كروب » تصنع اليوم قنابل ••
املأوها جيدا •• هذه القنابل
انها لأجلنا أيها الأخوة !!
ستضرب دمنا على ميادين القتال !!
املأوها بقوة •• جيدا ••
فنحن ملايين •

وفي عام ١٩٤١ ، عقد الملك بوريس البلغاري وحكومته خلافا لرغبة الشعب البلغاري ، اتفاقية مع المانيا وايطاليا • وملئت السجون بالاحرار ، وسافر فابتزاروف متخفيا الى مدينته بانسكو ليكافح في سبيل انتزاع الجماهير من انياب الفاشستية • وفي هذا الجو الصارم كتب قصيدته التي لم تنته وعنوانها : كلا ، لم تعد القضية قضية شعر :

تأخذ بالكتابة ، وهكذا بدلا من القافية
تنفجر قنبلة وتأتلق السماء بالصواريخ
وتلف الحرائق المدينة •• وتلاحظ عندذلك برعب
انك لا بالحبر ، وانما بالدم تكتب !

ووضعت حكومة بوريس جميع الخطوط الحديدية والمطارات والمرافىء تحت تصرف النازيين الغزاة • وكان على فابتزاروف ان يقوم بمهمة ايصال الاسلحة من الاتحاد السوفياتي الى الانصار البلغار ، واستطاع ان يقيم حلقة اتصال موفقة ، ولكن بينما كان مستغرقا في حمى نشاطه اوقف في الرابع من آذار عام ١٩٤٢ • وقد تعرض لصنوف رهيبة من التعذيب ولكنه صمد • انهار جسديا ، غير أن معنوياته ظلت في الاوج • وانتظر الجلادون أن يسمعوا بكاء واسترحامات ، ولكن كلمات الوداع كانت كلمات كبر على شفاه المحكومين • وأعلن فابتزاروف مرتفع الرأس : « لقد عملت وناضلت في سبيل سعادة شعبي ووطني فاذا كان علي أن أعاقب لذلك فأنا مستعد لتحمل هذا العقاب ! »

وعشية يوم الاعدام كتب فابتزاروف مقطوعتين استطاع أن يسلمهما لبعض الرفاق في اللحظة التي كان يسوقه الجلادون الفاشست الى نفق الرمي •• وانطلقت الاغنيتان تجوبان ضمائر الدنيا :

— ١ —

اغنية وداع الى زوجتي

سأجيئك أحيانا في نومك
مثل زائر بعيد غير منتظر
فلا تتركيني أنت ، خارجا على الطريق ،
ولا توصدي الباب بوجهي !
سأدخل دون ضجيج واجلس بهدوء •
عيناي مسمرتان في الظلمات الى وجهك •
وعندما افني عيني في تأملك
سأطوقك ومن ثم سأمضي •

— ٢ —

المعركة محتدمة

المعركة محتدمة ، لا هوادة فيها ،
وكما يقال ، فالنضال جدير بالملاحم •
لقد سقطت ، وسيحتل آخر مكاني •
وهذا كل شيء •
اذ ماذا يهم هنا اسم الشخص !
يطلقون الرصاص ثم •• الديدان !
كل هذا بسيط منطقي •
ولكننا في العاصفة سنكون معك دوما
يا شعبي •
ذلك لاننا احببناك •

ومثل علم نضالي ، يوحي شعر فابتزاروف الى الاجيال ويناديها نحو اعمال بطولية جديدة •



« ايام معه »

بقلم : محيي الدين صبحي

يقولون في تعريف النقطة الهندسية : « انها شيء ليس له طول ولا عرض ولا عمق » وهذه الصفات تنطبق على كثير من انتاج الهواة الذين يتمتعون بشيء من الحسن النامي والوعي الاجتماعي ، فيعمدون الى تدوين انطباعاتهم عن تجاربهم وتجارب غيرهم في سطور تخلو من أي فن أو محاولة لاعطاء فن • وهم يمزجون تلك الانطباعات بشيء من التأملات وشيء من الالفاظ الشعرية ثم يقدمون هذا النتاج للقراء • وقبل نشره على الملأ يرتادون الصالونات الادبية ويتصلون بجيل من الصحافيين الناشئين وطلاب الظهور الاجتماعي الذين ليس لهم من حصيلة الثقافة شيء يؤهلهم لابداء رأيهم ، ومع ذلك فهم مقبولون في أي مكان لأنهم لا يعترضون على شيء ولو أحبوا أن يعترضوا لما استطاعوا •• وهذا الجيل من الصحافيين وطلاب الظهور الاجتماعي نكبة أخرى على الادب لأنهم يستطيعون بما تدبجه أقلامهم من مقالات اطراء ودعاوة أن يلفتوا نظر القارىء الى شيء ولو تافها أو أن يصرفوه عن شيء فهم اذن أصحاب صول وطول !

وبذلك يتساند الهواة والجهلة على خيانة الفن ! وتبقى حياتنا الادبية زيفا في زيف •••ولو تساءلنا : أين الادباء؟ لما جاءت الاجابة أكثر نصاعة أو تشريفا ذلك أن أكثر الادباء « الرسميين » أشد زيفا من الهواة فهم يتحلون بصفتين أولاهما أنهم مصابون بأمراض نفسية عديدة في طليعتها اعتقادهم بأنهم مظلومون مهضومو الحقوق وأن نتاجهم ونضالهم وذكاءهم أشياء تستحق التقدير أكثر من ذلك ، وبما أن أحدا لا يقدرهم فانهم يأخذون حقهم بيدهم ويسعون الى تغطية فشلهم الادبي باحتلال مناصب في الجمعيات ونيل ألقاب هذه المناصب فتراهم يشفعون اسماءهم بما يلي : « سكرتير جمعية » أو « مقر لجنة » أو « رئيس جماعة » الخ هذا الهذر الذي يملأ فراغ النفوس المخدوعة بذاتها •

وثاني الصفتين التي تلتصق بالأدباء « الرسميين » أنهم صم بكم عمي عن كل تطور يحدث في هذا البلد لأنهم استوردوا كل شخصيتهم الادبية من الخارج ولم يمتزجوا أبدا بمجتمعهم ولم يتعرفوا أبدا على انسان هذا المجتمع

ولا على احتياجاته .. لقد استوردوا كل شيء .استوردوا مفهوم الانسان ومشاكله ومواقفه ولم يبق عليهم الا أن يكتبوا ، فجاء نتاجهم غريبا عنا اذ يجب أن يكتبوه باللغة التي استوردوا مفهومهم من أصحابها .. وهكذا نشأ عندنا مسخ « سارتر » بالعربي .. و مسخ « ستاندا » بالعربي أيضا وغير ذلك كثير ..

تداعت الى ذهني كل تلك الخواطر السوداء عن تزييف الادب والحياة الادبية حين طالعني الصدق الصادق في رواية « أيام معه » للسيدة كوليت خوري . اذ أن القارىء لتلك الرواية يشعر بأنها رواية صدرت عن مجتمعنا وجرت حوادثها عندنا .. حتى ليمكننا أن نسميها « هذه هي الحال في بلدي » كما كتبت المؤلفة في الصفحة (١٠٦) اذ أن المرء يشعر بتعمد الصدق والدقة في تحري الواقع وتسجيلها تسجيلا حرفيا خاليا من أي انتقاء أو تصرف يتطلبهما العمل الفني ، وبذلك جاء الكتاب أشبه بمذكرات منه بقصة ، وقد يتخلى أيضا عن فن المذكرات ليلحق بالتقارير الاجتماعية والنظرات المتأملة والخطب والمواعظ ، مع نقل بعض الاشعار العربية والفرنسية وتسجيل كل ذلك بأسلوب مزخرف بفسيفساء خارجية لا يتطلبها المعنى أو المبنى .

هذا الكتاب لا يحوي شيئا من فن الرواية أو القصة . انه حكاية حب بين موسيقي ومراهقة بدأت بنظم الشعر .. الموسيقي انسان متحرر جاب أوروبا جرب مع النساء والمراهقة تحلم بالحب بعد أن منعها أبوها من الانتساب بالجامعة وخطبت الى ابن عمها « الفريد » الذي يغيب في أوربا ليدرس ثم يعود وبين غيابه وعودته جرت حوادث الغرام بين الموسيقي « زياد » والشاعرة « ريم » التي تتعرف عليه بالصدفة عند بائع الورد وتتطور علاقتهما من معرفة الى صداقة الى حب تضيع فيه بين يدي الرجل الخبير ــ ولا ندري الى أي حد تضيع فانها لم تذكر من العلاقة سوى القبل ــ ثم يتعرف الموسيقي في المؤسسة التي يعمل بها على فتاة اسمها سوزان ويصحبها بعض الوقت ، فتتأكل الغيرة قلب ريم ــ البطلة في القصة ــ ويتعاتبان ويتهاجران .. واذا بالخطيب الفريد يعود فتلازمه ريم مما يثير الغيرة في قلب الموسيقي زياد فيعمل على أن يجتمع بها ويبكي بين يديها طالبا منها الصفح والغفران ويعرض عليها الزواج . انه قد تخلى عن تمسكه بحريته وعن كل آرائه السالفة بضرورة تأمين الحرية للفنان وركع عند قدميها طالبا منها أن تخلصه من حريته تلك ، لكن الفتاة المراهقة نضجت وآمنت أن الحرية أساس الفن لذلك ترفض الزواج منه لأنها تنوي أن تسافر الى أوروبا وتعيش حياتها كما تشاء ..

وفي الرواية عدا من ذكرنا شخصيات أخرى تظهر وتختفي بحسب الحاجة اليها دون أن يكون لها دور كبير في سياق الحوادث .. كما أن الرواية تفلسفا وخطبا ونقدا اجتماعيا وبعضا من الدلال الانثوي ، يظهر بوضوح أن تسجيلها هو الهدف من هذه القصة وهو سبب رواجها بين الناس الذين يبحثون عن مجتمعهم وصورهم فيما يقرؤون . ولكي نعرف تمام العلم سبب الضجة التي أخذها الكتاب علينا أن نبدأ بموضوعات النقد الاجتماعي :

١ ــ في صفحة ٣٦ يرن التليفون صباحا فتكتب المؤلفة : « من يكون هذا المتكلم النشيط ؟ هل هو أحد المعجبين الرخصاء الذين يلوثون بأصواتهم وحدتي كل يوم ؟ هؤلاء الذين لا يملكون الجرأة على التصريح بأسمائهم ، والذين يدفعهم الكبت والحرمان الى صب غرائزهم في أسلاك الهاتف .

٢ ــ يدعو الموسيقي الشاعرة الى السينما ثم يستنكف حرصا على سمعتها ، فتبدأ بالمناقشة : ص ٩٩ « كم من فتاة تذهب وحيدة الى السينما ، وعندما تطفأ الانوار ، يأتي صديقها ، ويجلس الى جانبها ، ويتحاشى البقاء معها حتى نهاية العرض ؟ وكم من فتاة تذهب خلسة الى موعد مع شاب في ركن منعزل ... وكم فتاة تذهب الى شقة شاب أعزب .. الخ »

٣ ــ بعد أن تذهب معه الى السينما تتناقش مع جدتها حول هذه الحادثة ص ١٠٦

٤ ــ ان الشاعرة لا تحب خطيبها الفريد وتشعر بأنها

تخون حبيبها زيادا حين ترافق خطيبها لكن المجتمع يبيح ذلك ، تقول ص ٢٨٩ حين تركب مع خطيبها في السيارة: « سيرانا الناس ملتصقين على مقعد السيارة وسيبتسمون ! لن ينتقدني أحد الآن لأن الفريد خطيبي •• لأنهم لا يقدرون أنها نذالة ورخص ، أن أكون بين ذراعي خطيبي وأنا لا أحب خطيبي ! »

٥ ـ حين تستعد لتلبس أجمل أثوابها احتفالا بزيارة زياد تقول ص ٣٨٤ « ووقعت نظراتي على أثواب « الكوكتيل » المزدحمة في سجنها •• سجنها الاضطراري لأن بلدتي لا تفسح لها طريقا للظهور ، فلا « اوبرا » ولا مسرح ولا فرق موسيقية ، ولا سهرات ••! »

ان فكرة نقد المجتمع تورطها في مزالق غير فنية مما يجعلها تقحم النقد اقحاما في أكثر المرات • ولا بد لمن ينقد المجتمع أن يقترح حياة أفضل واتجاها أكمل ، وقد زلقت المؤلفة في هذا المسار فاحتوى كتابها على كثير من الخطب والمواعظ ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ مناقشة التقاليد ص ٩٧ : « ماهي التقاليد ؟••• هي نموذج العيش •• عادات اتفق عليها المجتمع منذ مئات بل ألوف السنين • لكننا الآن في القرن العشرين • لقد تبدل المجتمع ، وتغيرت العقليات ، وتطور تفكيرشعبنا• كل شيء تطور الا التقاليد •• هذه التقاليد التي خلقها مجتمع ولى ، واتفق عليها أناس تواروا تحت التراب من ألوف السنين •• ومجتمعنا راض عن هذه التقاليد ! »

٢ ـ في صفحة ١٢١ خطاب عن المغامرة : « قد تكون هذه المغامرة نارا احترق بها ، ولكن على الاقل في المستقبل سأشعر بأن وجودي لم يكن تافها ، وبأن روحي أصبحت قيمة لأنها تكون قد احترقت وأضاءت أكثر من أرواح الآخرين » •

وهي سطور « بتجنن » كما قالت لي احدى البنات !

٣ ـ في صفحة ١٢٩ محاضرة عن الشرف : « هل أنا شريفة ؟ أنا التي أحدث الرجال وأحب صداقة الرجال ، هل يعتبرني الناس شريفة ؟ » وبعد ذلك عرض لمفهوم الشرف في السويد وجزر تاهيتي ثم تكتب بعد صفحتين « كل واحد هنا ينادي بالشرف ، ولكن هل هناك واحد يفهم معنى الشرف الحقيقي ؟ »

٤ ـ في صفحة ١٦٩ خطبة عن النفاق : تنصحها صديقتها بالتستر : « اذا اجتمعت به سرا فهذا لا يعني نفاقا وخبثا •• هذا يعني سياسة ودبلوماسية ! » وتجيبها الشاعرة : « حتى أنت تؤمنين كأهل بلدي بالخبث والنفاق ؟ »

٥ ـ في صفحة ٢٤٦ خطاب عن ضعف المرأة الشرقية: « المرأة الشرقية ضعيفة لأنها ما زالت تئن تحت سلاسل القيود الثقيلة •• لأنها كسلى •• انها تمشي وراء الرجل وتستتر بظله للتهرب من مجابهة مشاكل الحياة بمفردها• هذا ضعف • انعدام شخصية » •

ومن النقد والخطب تنبع تأملات فلسفية ونظرات مسطحة ليس فيها عمق كبير ولا فائدة للعمل الفني • ارجع الى الرواية باحثا عن التفلسف وسوف تجده في الصفحات التالية : ٥٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ٢٤٧ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ •

وفي القصة أيضا كثير من البكاء مما يذكرني بألف ليلة وليلة وبقصة « أنيس الجليس » أو قصة « الملك الامجد وأخيه الملك الاسعد » ورغم أنني شديد التأثر سريع العبرات فان دموعي تحجرت في مقلتي مع أن البطلين قد بكيا أكثر من عشر مرات بسبب وبدون سبب ••••ان الكتابة الجيدة تثير الدمع في العين دون أن تذكر حتى اسم الدمع • واذا أراد القارىء أن يتحقق فليرجع الى الرواية في الصفحات : ٩٠ ، ١٧٦ ، ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ••• ولعل كثرة البكاء قد جعلتنا نضحك بدلا من أن نبكي فالبطل يبكي دائما وأغرب موضع للبكاء هو حين تقول له : « أريد أن أنجب منك طفلا » ان المرأة التي تريد ذلك تسعى لأن تثير الرجل ولا تبكي بين يديه •

وفي القصة « بهارات » تثير شهية القارىء العادي ، ذلك أن البطلة ـ فيما يبدو ـ شديدة الاعجاب بجمالها مفتونة بثدييها وردفيها ووجهها وشاعريتها • ولكي يصدق

القارىء عليه أن يعود الى الصفحات : ٦٢ ، ١١٠ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٨٥ . تقول البطلة حين قبلها « ولم أدر أي سحر أسبل جفوني ، ولا أي اكسير أنعش شفاهي . وتقول أيضا « اللهفة تفجر في شفتي دماء وردية » وحين ترتدي ثيابها تسجل خواطرها « نسي التفتا الاخضر أكتافي .. وحضن برفق نهدي .. وشد .. شد على الخصر الرقيق .. ليتدفق بغزارة ، شلالات ربيع على أوراكي » .

* * *

اننا نظلم الكتاب والمؤلفة اذا نظرنا اليه على أنه عمل فني . انه أشتات من كل ما ذكرت مضافا الى ذلك بعض الحوادث التي لا توحي بشيء . ومع كل هذا فانني أهنيء الكاتبة على محتويات الكتاب لانه على الاقل مرتبط أشد الارتباط ببيئتنا . هذه البيئة التي أهملها الموهوبون والمثقفون فكان لا بد من انسان عادي يكتب عنها كيفما اتفق . وأغلب الظن أن هذه القصة سوف تجلب الشهرة والمال على صاحبتها فقد سمعت أن هناك فكرة لاخراجها على الشاشة .

محيي الدين صبحي

خمر الشباب

بقلم : فاضل السباعي

هذا روائي عربي شاب من حلب ، عرفناه مع ولادة مجلة « الآداب » اللبنانية في عام ١٩٥٣ ، يكتب فيهـا المقالات والقصص ، ثم نما فنه ، واتضحت شخصيته ، واستقام نفسه القصصي واستطال في مجموعته « السنفونية الناقصة » ، و « بنت الجيران » ، ثم رأيناه يمتشق قلم الرواية ، فيطلع علينا برواية « خمر الشباب » .

ان فرحتي فيه أنه روائي ، وأدب الاقليم السوري يغص بكتاب القصة القصيرة على حاجته للروائيين الذين يصورون ليس قطاعات جانبية من حياة مجتمعهم ، بل خطوطا طولانية ممتدة ... ثم فرحتي فيه ـ ولا أكتم ـ أنه من حلب بلدي .

اذن ، « فخمر الشباب » محاولة روائية لصباح محيي الدين .

وأهم ما يتسم به قلم صباح الخفــة والرشاقة ، ثم الجرأة ، ولكنها في هذه الرواية جرأة بلغت في بعض الاحايين حدا أنكره عليه ، والا فما معنى أن يقول ما قال في الصفحة ٨٨ السطر ١٢ ؟

والرواية ترصد انطلاق الشاب الشرقي في المدينـة الاوربية الصاخبة ، جريا وراء اللذة والشهوة . ان فؤاد ابن لثري من حلب يملك مصنعا للصابون ، أوفده أبوه الى عميله في لندن ليتدرب على صناعة الصابون (لاحظنا أن عمــل فؤاد في لندن كان ينحصر في الجري وراء البنات ، وفي الاحيان القليلة نراه يجلس وراء مكتب عليه هاتف ! فأين التدرب على صناعة الصابون ، الذي لا يكون الا في المصنع وراء الآلات وبين الزيوت ؟ !) .

وفؤاد يتصيد البنات ، ويقضي من بعضهن وطره ، وتعجزه الاخريات عن أن ينال منهن منالا . ولكنه منطلق رغم ذلك على فطرته ، متأثر خطى ابن عمه وليد ، الاطول منه باعا في هذا المضمار .

ويحس فؤاد بحب « مادي » ، الفتاة السويسرية التي تقيم في لندن لغاية ما . ولما تفارقه الى حين في سفر طارىء الى بلدها ، تتكشف لعينيه مدى الآصرة العاطفية التي تشده اليها . ولعله كان سيعزم على أمر متى عادت اليه . ولكن رسالة عاجلة ترده ، هو الآخر ، من أبيه في حلب :

تقدم الى بنت عمك درية أحد الشباب يخطبها ، فرأينا ألا تخرج بنت عمك من العائلة ، فتمت خطبتها لك مساء البارحة .. أخبرنا برقيا عن موعـــد مغادرتك للندن ، وموعد وصولك حلب !

وتنتهي الرواية .

السرد جميل جذاب، والروائيموهوب يبشر بمستقبل طيب. ولست أريد أن أمضي في الثناء عليه وذكر مزاياه ، فهذا القدر يكفي . ولكن ملاحظات « عريضة » تنصب على الرواية لا بد من الوقوف عندها ، اسداء للكاتب من نصح نحن حريصون عليه ، ولا توقفنا في ذلك مجاملة أو حرج .

اسمع يا صباح .

أنا مسرور لانك قفزت الى الرواية بعد القصة . ولكن يلزمك مزيد من التأني في كتابة الرواية ومعالجتها ، حتى تدنو من المستوى الذي نريد لروائي عربي .

في روايتك بعض التطويل الذي لا يتلاءم مع فنيـــة القصة . أتراه انسيابا فنيا موفقا قص القصتين الطويلتين : « قصة الغجرية الخرساء » ، و « قصة الحمام » . أما « قصة الديك الرومي » ، فأعيذ الادب منها ، ونحمد الله أنك لم تقص علينا « قصة الحمارةالبيضاء » ، اذن لفضحتنا بين البشر ! أما قصة مادي عن حبها الاول ، فهو الشهد المصفى والفن الحلال .

أما أن يرغم الاب في حلب ابنه الذي يعيش في لندن لسنوات أو لشهور ، على الزواج من ابنة عمه ، وهو الذي لا يحس نحوها بالحب ، ففي ذلك تكلف وارهاق للواقع .. قبل خمسين سنة كان ذلك مما قد يقع : يفرض الاب على ابنه الزوجة ، وليس للابن أن يرفض ... ولكن اليوم ، من ذلك الذي يجسر على هذا الفرض أولا، ثم من ذا الذي يرضى به ان كان ؟

ولعل الروائي تعجل في كتابة روايته ، فان فيها هفوات صغيرة تشهد على ذلك. انه لم يكن يقرأ ما يكتب، كذلك يبدو لي . اسم ابي فؤاد في الفصل الاول : « الحاج محمد » (الصفحة العاشرة) ، ولكن النسيان غيب هذا الاسم ، فظهر للوالد اسم جديد في الفصل الاخير : « الحـــاج مصطفى » (الصفحة ٢٥٣) ... وبعض الهفوات اللغوية الصغيرة .

هذه رواية محاولة ــ كما أسلفت ــ ولئن قصر فيها الكاتب في الفن وفي الموضوع بعض الشيء ، فلأنهـــا محاولته الروائية الاولى ، وان الذي أريد أن أعلنه في صراحة ووضوح :

« لقد ولد في حلب روائي جديد » ...

درعا فاضل السباعي

ردود

سفاهة لا نقد

بقلم : عبد الغني العلواني

لم أدر لم هممت باستدعاء شرطة النجدة وأنا أقرأ نقد محيي الدين صبحي لقصائد العدد الاسبق من « الثقافة » لولا أني تذكرت أنه لا يعقل أن تصل مهمة الشرطة الى درجة تأديب « المتأدبين » . فما كان ليستقيم لي أن أسمي هذا نقدا يكتب بريشة من جنح طائر بل بفأس حطاب أرعن يهوي على الجذوع ذات اليمين وذات الشمال أو بقرن ذلك الثور الاهوج الذي دخل متحف الخزف فلم يبق ولم يذر .

ان كل كاتب وكل شاعر يرحب بمن ينقد انتاجه على أن لا يكون ذلك بسفاهة مسعور وضراوة موتور فآفة النقد حب النقد والغرض مرض كما يقولون . وبعد فقد أنكر علي الابتذال في قولي :

صبحاء لو جـــاد الزمان بمثلها
يوما علي ، لطـار عقلي للسما

قائلا : يا أيها الشاعر احترم عقول الآخرين اذا طار عقلك
أما ان جملة « طار عقلي للسما » لغة دارجة فأنا معه في ذلك ولعلي أول من ابتسم لها وأنا أفوه بها ولكنها ليست من الابتذال في شيء وما أثبتها الا لما تثير في النفس من معنى المرح المستفز ولقد أدت مهمتها بدليل اثارتها حفيظة ناقدنا الفاضل • وأما انه يجب علي أن أحترم عقل محيي الدين صبحي اذا طار عقلي ••! فله ذلك • وان كان من الافضل له – لو يدري – ان احترم عقله بدون هذا الشرط •

واني لاعجب لمن يطعن حتى نفسه بدون ان يشعر كيفاستطاع ان يلمس شيئا من الخيال الفني اللطيف في قولي •

والساق تشنق من يراهـــا ان بدت
ترقى عـــلى مرمى النواظر سلمـــا

ثم تعاوده نوبة النقد فيقول : « عافانا الله من مثل هذا الشعر وهذا الشعور •• » فما لي الا أن أقول له : آمين آمين وان كنت تسأل الله ما أنت منه في بحران •

حماه – عبد الغني العلواني

انتصاف لا بد منه

بقلم : نديم احمد طابوشة

قرأت في باب «العدد الماضي في الميزان – نقد القصص» ما كتبه الاستاذ جورج طرابيشي فرأيت أن أوضح بعض الامور لا على أساس انني صاحب (طير النيل) وانما على أساس أن ما أتى به الاستاذ جورج لم يكن شاملا تمام الشمول فأقول :

لقد استهل الاستاذ جورج نقـــده بقصة (العودة) للاستاذ جورج سالم فقال (في الحقيقة ان القصة الوحيدة الموضوعة في العدد الماضي التي يمكن أن تسمى قصة هي « العودة » لجورج سالم) •

ثم يشرع في نقد تلك القصة وملخص ما جاء به هو : بالرغم من اعتماد القصة على لقطة انسانية فتكنيك القصة ليس بمستوى المحتوى •• ومن ثم فعامل الزمن مضطرب فيها •• فضلا عن وجود تدخل خارجي من قبل الكاتب في مكانين متتابعين •• الا أن قصة (العودة) تبقى احدى القصص الانسانية الجيدة ••• انتهى •

قبل أن أشرع في ابداء رأيي أقر وأعترف للاستاذ جورج ولجميع القراء بأنني ، كما قال ، ناشىء ، أخطو خطواتي الاولى •• فأرجو أن يصغي لما أقول ••

ان كل ما جاء به الاستاذ جورج كان معقولا وطبيعيا الا انني لا أوافقه على انها (قصة جيدة) •• فالاختلال الزمني – وقد اعترف بوجوده الاستاذ جورج – شيء هام لا يمكن السكوت أو التغاضي عنه •• وهنالك أيضا الاضطراب الذي يتصاعد في القصة هنا وهناك فمرة يفهم أن القصة آتية من خلال ذهن شاكر ومرة أخرى يعود الكاتب ليثبت وجوده ناسيا أن القصة آتية من ذهن البطل بالذات ، كما أورد الناقد ، وذلك (عندما تذكر غسان ما قاله أبوه لامه : عسى ألا تكون زيارته طويلة) •

وكذلك بعد أن قبل (البطل) صورة ابن أخيه فلقد أوقف الكاتب عملية التداعي ليتدخل ويتابع الرد هو لا (البطل) • ولو أنه أعاد تساؤل البطل شاكر : ماذا أفدت من رحلتك تلك يا شاكر ؟ كمنشط للتداعي وصب بعدها المعلومات لاستقام في رأيي الامر •

ومرة ثالثة يتدخل الكاتب فيقطع على (شاكر) تخيله فينهيها بنقطة كبيرة ليستأنف الحديث هو فيقول (تتوقف السيارة الكبيرة بين فترة وفترة لينزل منها عدد من الركاب الى قراهم ويصعد آخرون ••• الخ) •

ان هـــذا التدخل يضر أكثر مما يفيد فهو لا يقطع التداعي فحسب بل انه لا يخدم الموضوع على الاطلاق ولا يحمله شيئا جديدا •

كان على الكاتب ألا يقطع حديث (شاكر) الى نفسه الى أن يقول له ابن أخته – أهلا وسهلا فيتذكر صورة ابن أخيه تحت تأثير التذكر فيخرجها من جيبه ويتطلع

اليها ومن ثم يتابع عملية السرد من جديد الى أن يقول غسان : ما عملك يا عم ؟

كان على الكاتب ـ حتى تنجح القصة ـ أن يكرر تساؤل العم شاكر : ماذا أفدت من رحلتك تلك يا شاكر ؟ بين كل استدعاء وآخر •• الا أن الكاتب لم يحافظ عليه دوما •

ومن ثم فهنالك شيء آخر : (عندما قال ابو غسان لاختيه : لم أظهرتما لشاكر هذا الجفاء ؟ •• ثم تأتي بقية النقاش ••

اني أتساءل هل حدث هذا بحضور بطل القصة شاكر؟ فاذا كان كذلك فكلمات القصة لاتحمل هذا المعنى اطلاقا•

وأما اذا كان (شاكر) ليس على علم بهذا النقاش فعلى الكاتب ألا يذكره اطلاقا ••

ومن ثم كان تأفف المسافر ، الذي كان الى جانب (شاكر) مفاجئا للقارىء والبطل بالذات ولو أن بطل القصة (شاكر) قد كرر تساؤله : ماذا أفدت من رحلتك الخ •• مرة أو مرتين في نهاية القصة ثم أتى يعد ذلك التأفف لكان معقولا ••

لهذا وبالرغم من اللقطة الانسانية الواضحة في القصة فانني لا أستطيع أن أعتبرها كما قال الاستاذ جورج (قصة جيدة) ولو كان فيها ، كما أورد الاستاذ جورج ، توتر المأساة والتوتر الانساني • •

أما قصة (لن أعود معكم) لالفة عمر الادلبي فانني أشاطر الناقد رأيه •• فهي ضعيفة تفتقر الى التجربة بصورة واضحة وأما بشأن خاتمة القصة فكان عليه ألا (يقسو) ولو كنت مكانه لقلت لها بأن الخاتمة ليس لها لزوم لان المهم في القصة هو أن يلتحق (بطلها) بالثورة السورية لا أن يموت فيها •• واذا كانت الكاتبة تصر على موته ـ وهذا شأنها ـ فعليها أن تعود الى الحبكة القصصية لا الى مثل هذه النهايات ••

وأما القصة الثالثة (أنا والعدم والقلب الصغير) فانها ـ رغم انني أمقت هذا اللون من الكتابة ولا أقره نهائيا ، لانه يعبر عن لحظة ضعف للانسان في جو قاتم محموم ـ رغم كل ذلك فالذي يجب قوله أن (عادل سلوم) استطاع أن يحافظ على تكنيك القصة بصورة واضحة للغاية •• أكثر من غيره ••

كان على الاستاذ جورج أن يشير الى ذلك •• لانه أمر هام ثم يقدم نقده بشكل (متزن) لا بالطريقة التي يقدمها الى طلابه •

اذا كانت الغاية الاساسية هي خلق انتاج أفضل فعلى الاستاذ جورج أن يكتفي بالقليل مما قاله •

وأخيرا •• قال الاستاذ جورج في ختام نقده (أجد أنه من الواجب علي أن أذكر أن في (ذكريات قاسية أحيانا) و (طير النيل) بعض البذور الطيبة فهلا تتوقع شيئا أفضل ••• انتهى) •

انني (أشكر الاستاذ جورج على كلمته في (طير النيل) ولو أنها تستحق أكثر من هذا بكثير •• وحتى ولو كنت ناشئا أخطو خطواتي الاولى ••

اني لا أقصد بذلك أنها قصة (ممتازة) الا انها تستحق الاهتمام اللازم والنقد المطول • لا التجاهل المقصود •• فالناشىء كما هو معروف بحاجة ماسة الى التوجيه الدائم •• ولقد حسبه الاستاذ جورج عنا في أحرج الاوقات •

هنالك بعض الاخطاء المطبعية في القصة الا أنها لا تخفى على القارىء ، ولقد سقط سهوا سطر كامل أيضا وذلك قبل أن تنتهي القصة بسطر واحد فالصحيح هو (الا أنه رفض ذلك لان دموعا غزيرة أخذت تجول في مآقيه وذكريات حلوة ومرة أخذت تموج في ذهنه عن السردين •• والعيد والاولاد الصغار وعن شقاء محبوبته المفضلة طير النيل •• انتهى) •

والآن سأترك (طير النيل) لمن ينصفها ••• شاكرا للاستاذ جورج لمساته وتوجيهاته•• وأشكر أيضا وبصورة خاصة الاستاذ مدحة عكاش رئيس تحرير المجلة الذي أتحفنا بهذا الباب •• لانه سيكون وجه المجلة وغربالها معا •

مع تقديري واحترامي •

اللاذقية　　　　نديم احمد طابوشه

نقد معاصر

بقلم : علي دمر

تعليق على نقد الشعر في كلمة (العدد الماضي في الميزان) في عدد كانون الاول ١٩٥٩ الماضي ٠

(عشر قصائد ليس فيها سوى القليل مما تمكن قراءته والاحساس بأن فيه شعرا حقيقيا) (ان روح النظم تسيطر على كل المقطوعات) (ان السيالة الشعورية لا تبرز أبدا وانما الذي نقرأ هو الافكار المنظمة المنطقية التي تفقد كل رفيف وتخضع لروح السرد) (هذا الشعر اذن جسد بلا روح) (فاذا تمالكنا أعصابنا وتابعنا قراءة القصيدة) (مضحكة تذكرنا بالسيرك والحيوانات المدربة على القيام ببعض أفعال الانسان) (وهو ميال للاقدمين ومحاكاتهم) (وهذا مطلع عباسي) (أما الالفاظ المحددة التي لا تجود بخيال ولا نغم فنجدها في كل القصيدة) (انني أتفاءل خيرا بهذا الشاعر اذا طور نفسه وابتعد عن المعلمية التي تبعده عن التجربة وتقربه من التزييف) (ان كل ما مر من شعر على الرغم من افتقاده للعمق والفن مقبول اذا قسناه بالابتذال) (الناظم التعليمي) ٠٠٠

• •

ما رأيك أيها القارىء في هذه الكلمات (المذكورة أعلاه) ؟ هل تظن أنها ــ شتائم ــ ردح ــ قذف ــ سب ــ تأديب تعليم ــ تهذيب ؟٠ لا ٠ لا ٠ حاشا ٠ ولا تستغرب ٠ انها (نقد أدبي) وربما كانت كلمة نقد أدبي لا تنفع ولا تناسب لانها كلاسيكية ــ قديمة ــ اتباعية ــ تعليمية ــ والانسب منها ــ نقد معاصر ــ أتستغرب أيها القارىء ؟ انها نقد معاصر ٠ فاذا قلت لي : هذا غريب ! ! كيف وصل النقد الى هذا السمو والعلو ؟ أقول لك انها سنة التطور ٠ كل شيء يتطور ويتجدد ٠ ألا تسمع بتطور الاسلحة كل يوم ؟ وهكذا تطور نقدنا وارتفع ٠ واياك أن تقول : ان التطور قد يكون أحيانا الى أعلى ويكون أحيانا الى أسفل ٠ فليس هذا هو المهم ٠ المهم انه تطور ٠ تجديد ٠ حركة بعد عن الكلاسيكية والتعليمية والاتباعية الخ ٠٠٠ وأظنك الآن فهمت نوعية (الكلمات المذكورة أعلاه) أستغفر الله بل ــ النقد المعاصر ــ (المذكور أعلاه) ٠ طرازجديد٠ قنابل جديدة ولكن الذي كتبها المدعو(الناقد) أو ربما (الناقدالكبير) أو محيي الدين صبحي ، أو غيرذلك٠

هذا ــ الناقم ــ عفوا ــ الناقد ــ لم يسقط هذه القذائف على رأس شاعر واحد من الشعراء العشرة للعدد الماضي ٠ ولو فعل (لخرب بيته) ولكنه وزعها بشيء من التقسيط على رؤوس أولئك الشعراء جميعا دون استثناء لانهم لم يعجبوه وأثاروا في نفسه التقزز والقرف وتقليب الشفتين ــ وعلى الرغم من ــ (تمالكه لاعصابه) وامتصاصه ليمونة ــ ليتمكن من النظر فيها والتنازل للكتابة عنها فقد جامل بعضهم ورحم بعضهن تمشيا مـــن احترام حقوق المرأة المعاصرة ٠ وأصابني أنا رشاش بسيط من هذه المجاملة والرحمة فلم تكن القذيفة مخيفة بل خفيفة طفيفة ولطيفة طريفة (الناظم التعليمي) فشيء بسيط جدا لا يزعج ، فمعنى الناظم أنه غير شاعر بل راصف كلمات منظومة فقط ومعنى (التعليمي) أنه خال من الفن والموهبة أي مجرد (تعليم) فقط ــ قذيفة بسيطة جدا ليس فيها شتم ولا أذى ولا اهانة ، بسيطة جدا٠ فهي مجرد نقد ــ توجيه ــ بحث ــ تدقيق ــ تعميق ــ تعميق فن ــ أجارنا الله من الاعظم ٠ وربما كان سبب بساطتها أننا لم نتعارف بعـــد ٠ ولم نتفاهم أو لم نتصادم ولو حصل ذلك لا سمح الله لانصبت على أم رأسي حمم من القذائف الهيدروجينية النقديـــة المعاصرة ما يجعلني هبـــاء منثورا ٠ وربما كان سبب بساطتها أنني لم أقرأه بعد ولم يقرأني ٠ لم أقرأ الا مقالة هذا وأظنه لم يقرأ الا قصيدتي هذه ٠ ربما لم يقرأ شيئا مـــن مجموعاتي الشعرية أو كما يقولون ــ دواويني ــ السابقة ربما تعاليا منه عن الصغائر وترفعا عن الدنايا ٠ ولا أدري لو فعل هل كان يربت على كتفي الصغير ويقول ــ مرحى يا ولد ــ أو يصفعني ويمسك بأذني ويرشدني ويشطب لي بالقلم الاحمر على طريقة النقد التعليمي ٠ وليس في ذلك شيء فهو أمر بسيط ٠ توجيه ٠ تدقيق ٠ تعميق ٠ تعليم ٠ نقد معاصر وعلى كل حال فسوف أريحه من المجادلة والمناكفة في هذا المضمار فلا أسميه ــ ناقدا ــ ولا ــ تعليميا ــ ٠

ان كثيرا من شبابنا المعاصرين من يتقوقع ضمن دائرة سياسية أو وجهة نظر أدبية محدودة يتحصن داخلها بفولاذ التعصب ويرشق كل الذين خارجها بأقذع الالفاظ والاهانات ٠ فشعراء العصر على سبيل الحصر عند صاحبنا هم فقط (بدر ٠ نزار ٠ نازك ٠ سلمى ٠) لا يوجد غيرهم ويجب على العرب المعاصرين أن يمسحوا من سجل أدبهم وشعرهم كل الاسماء غير هؤلاء هكذا أمر هذا (الناقد المعاصر) فلا يوجـد ابو ريشة ولا أبو شبكة وبشارة والجواهري والبدوي والصافي والشابي وايليـا وفدوى ومحمود حسن اسماعيل وعزيز أباظه والرصافي والزهاوي والقروي وحافظ وشوقي ٠ ولا أتورط أنا أيضا بحصر الاسماء كلها المتعذر تعدادها في هذا المقام بالاضافة الى الشعراء والشاعرات المذكورين في دائرة صاحبنا ٠ وهكذا نرى كثيرا من الشبان الذين بمجرد تعلمهم كتابة الانشاء وقراءة أحدهم كتابين في النقد المعاصر يمسك القلم ظانا أنه بسطرين يمكنه أن يهدم كل صروح الشعراء المشادة من قبل أن تلده أمه ٠ بمجرد أن يقول : هذا قبيح وهذا مليح ٠ هذا أعجبني وهذا لم يعجبني ٠ ثم يقلب شفتيه ويتقزز وكان الاولى أن يتقزز من نفسه ومما يسميه نقدا٠

ان حاجة نقدنا اليوم الى النقد هي أشد من حاجة الشعر الى النقد ٠ وليس من الضروري تسميته منجددا ومتطورا بمجرد أنه (نقد معاصر) ٠

جدة　　　　علي دمر

بيـــان
جمعية أدباء الاقليم السوري

اجتمع فريق من أدبـــاء الاقليم السوري ورأوا أن النهضة التي ترعاها الجمهورية العربية المتحدة تستلزم من كل أديب أن يسهم فيها بأقصى ما يستطيع من جهد ، وتتطلب خاصة أن يعبىء الادباء جميعا قواهم ويجمعوا جهودهم المبعثرة في سبيل الارتفاع بالحركة الادبيـــة والوصول بها الى أداء رسالتها القومية والانسانية في مرحلة **الانطلاق الحضاري المبدع التي تمر بها أمتهم العربية .**

ولهذا تنادوا الى انشاء جمعية باسم « جمعية أدباء الاقليم السوري » تهدف الى وفاء هذه الاغراض حقها ، عن طريق نشاط جدي واع ، يجمع شمل الادباء ويطمح الى أن يرسم للادب وجها يمثل مكانته في حياة الامة العربية وحياة العالم .

لقد أدرك هؤلاء الادباء أن الامكانيات الادبية لدى أبناء الاقليم تحتاج الى ما ينظم عقدها ، ويستخرج ما فيها من خصب وعطاء ، وتفتقر الى رعاية شاملة تقيها ما قد يقف في وجهها من عثرات . وأدركوا أن واجبهم أن يسهموا مع سائر الجهات التي تعنى بمثل هذه الرعاية بقسطهم في هذا المجال ، ما دام العمل الثقافي لا يزكو الا بتعهد جميع الهيئات الشعبية والحكومية له ، وما دام التعاون بين المؤسسات الرسمية والخاصة أساسا لنمائه وازدهاره . وتحقيقا لهذه المطالب ، وضعوا في مقدمة ما يرجون من أعمال ، رعاية حركة التأليف والترجمة ، برسم خطة علمية مدروسة لهـــا ، واظهار القوى التي تستطيع أن تسهم فيها ، والعناية خاصة بالتعريف بالآداب الاجنبية والحركات الادبية الحديثة في العالم بعد أن غدت الحاجة ماسة الى مثل هذه العناية ، والاهتمام قبل هذا كله بالتراث العربي وباطلاع ناشئتنا عليه اطلاعا مدروسا صحيحا كيما يتم حقا التفاعل الخلاق بين هذا التراث وتراث الآداب الاخرى .

وهم يرجون أن تلقى رغائبهم هذه تأييدا من سائر الادباء الذين يشغلهم الوصول بأدب بلادهم الى الشأو الجدير بالامة التي ينتسب اليها ، وبالرسالة المدعو الى وفائها من أجل الانسان وقيمه الحضارية ، ويطيب لهم أن يدخلوا ساحـــة النشاط الادبي متآزرين مع سائر الجمعيات والهيئات الادبية جاعلين هدفهم الاول تضامن الادباء جميعا في سبيل الابداع والعطاء ، وفي سبيل الحفاظ على قدسية رسالة الفكر ومستواها الرفيع .

وهم لهذا يدعون جميع الادباء الحريصين على جلال الموهبة الادبية ورسالتها ، أن يسهموا في هذه الجمعية التي ترحب بكل من تشرق في نفسه الكلمة الطيبة ويلهمه الحرف النير ويحرص على السعي المتضامن الجـــاد في سبيل رسالته الغالية . ولهم وطيد الامل أن تستطيع هذه الجمعية رعايـــة المستوى الادبي الرصين الذي أرادته لنفسها ، وأن تقدم ما يتوجب عليها وعلى كل أديب من دعم للرسالة الحضارية الكبرى التي تعمل لها الجمهورية العربية المتحدة تحت رعاية رئيسها المفدى .

دمشق ، كانون الاول ١٩٥٩

جمعية أدباء الاقليم السوري

العدد الماضي في الميزان ـ الشعر ..

نقد عدنان ابن ذريل

في العدد الماضي خمس قصائد شعرية ، أثنتان منها في الغزل ، والثلاث الأخر في الحماسة ، والوطنية ، وفيه الى جانب ذلك شعر قديم في الوصف وقصيدة شعرية مترجمة في الحكمة ، والموعظة ، وسنتحدث عن القصائد الخمس ، دون سواها ، محللين فحواها ، ناقدين لها ..

« سلام » للاستاذ وصفي قرنفلي مقطوعة شعرية ، غزلية ، وصفية ، موضوعها استقبال غانية للصباح ،وتحيتها له ، سرد الشاعر عنها تلك التحية ، ووصف ذلك الاستقبال ، قال :

كسرت لحظها، تقول:صباح الخير ، أهلا ومرحباياصباحي
ياصباح الرضا أطل،ويا دنيا استهلت، ويا رفيف الاقاحي

الديباجة الشعرية قوية ، والتعبير سلس !. يصف الشاعر أثرها الغانية نفسها ، فيقول :

هود الورد في جبينك للصبح فأغفى وراح بالورد يحلم
واستفاق المساء سكران في هدبيك يحبو معقد الظل مبهم

★ ★ ★

وكأن الريحان قد طال أذدست عليه والروض أذلحت برعم
حسباك نيسان فاختلجا شوقا ،وقيل : الربيع قد لاح أوهم

فأطلق الشاعر لنفسه عنان الخيال ، والرؤى ، ورأى غانيته في استقبالها للصباح ، تستقبل الخضرة ، والازهار، وتحلم بها .. أو أيضا يستفيق الليل في هدبيها سكران، تحبو أوهامه معقدة ، مبهمة ..

التعبير هنا حسي ، والتشبيهات فائقة ، وأن المرء ليجد صعوبة حقا في ادراك وجه الشبه الحسي ، أو المعنوي في هذه الاخيلة ، والتهاويل ، ألا أنها صعوبة قريبة ، ومحببة تكسب الشعر قوة ، وأيحاء ، وبهاء ..

ومثل ذلك تجسيد الريحان ، والروض ، وتجسيمها، فالريحان قد طال اذ داست عليه ، والروض اذ لاحت برعم .. حسباها نيسان ، فاختلجا شوقا .. الخيال الشعري هنا جامح ، وهو حسي ، يستحيي الاشياء ، وينطقها .. ويسمع منها ، وكذلك يسمع أن الربيع قد لاح اذ لاحت ، أوهم بذلك .. الديباجة حقا هنا قوية، تكتظ فيها الأخيلة ، والايحاءات .. بحيث تجد فيها أكثر من صورة ، وفكرة ، وشعور ، وهي أيضا جيدة ، جميلة ..

يتشهى الشاعر من غانيته ، وهي سمراء ، قبلة ، أو بعض قبلة ، أو ايماءة ، ويرى ذلك قليل كثير ، ويتمنى لو لفها اليه ، فيقول :

أيه سمراء ! قبلة منك أو بعض ، وأيماءة ، قليل كثير
ليتني الليل حين لفك ياسمراء ،والحلم اذ سرى،والسرير

فيستعين أيضا بالصور من حسية ، مثل الليل ، أو السرير ، أو معنوية ، مثل الحلم حين سرى ، ليعبر عن تمنيه ، ووجده !. القصيدة من البحر الخفيف ،وتقفيتها حديثة ..

« من صنع عينيك » للاستاذ حنا الطيار ، قصيدة غزل، وبوح ، وهي عمودية ، تلتزم قافية واحدة .. افتتحها الشاعر بحديث انشائي ، خاطب به محبوبته ، وأجرى الحديث على صيغة المذكر ، يصف به حسن محبوبته ، وفتونها ، قال :

يا ناشر الليل على هدبه	ما أجمل الليل على هدبك
وناثر الأنجم في غربه	ما أروع الأنجم في غربك
يلفها الصحو فلا غيمة	تكدر الصحو على شهبك

ويتابع الشاعر هذه الاوصاف الحسية الجميلة ، فيقول:

يا صاحب النيسان في ركبه	ماأضوع النيسان في ركبك
مخضوضر الدرب فلا نفحة	لم تزحم الدرب الى قربك
مخضوضر الدرب فلا هزة	لم تأخذ الدرب على تخبك
من صنع عينيك أمانينا	ننسجها بالفيء من هدبك

وهنالك يعود الشاعر الى نفسه ، يتحدث عن حبه ،

بالواحة المعطار لي جلسة تحت ظلال النخل من شطبك
بالزورق السكران لي رحلة لشاطيء يحلم في حبك
على الروابي الخضر لي نشوة وفي يدي العنقود من هضبك

الصور الحسية تكتظ أيضا في هذه الابيات ، تعبر عن أحوال الشاعر مع محبوبته ، فهو جليسها ، يسامرها ، وينعم بحبها ، وسمرها ، هذه الصور ، على العموم مقبولة ، ولكن حبذا لو عقلها الشاعر ، فقرب معانيها البعيدة ، أو عبر عنها مباشرة بأسلوب صريح ، فذلك خير ، للاسلوب الشعري ، واكثر قوة ، وايحاء •• والدليل قوله الصريح أثرها :

كأنني في حلم سابح بالمسكر الشلال من سكبك
أهيم في مطلق حالم تمتصني الأنجم في رحبك
أهيم في سطلق حالم لا يعرف الصحو على غربك

حيث يعبر الشاعر مباشرة عن نشوته ، وحبه ، وانه يهيم برؤى حبه ، في مطلق سكران ، حالم •• هذه الابيات نفسها ، لم يفت الشاعر وشيها بالتشبيهات الحسية ، فشبه نشوته بامتصاص الانجم في رحب الحبيبة له ، وشبه هيامه بها ، بسكره من شلال من سكبها ، أو انبهاره في نورها ، أو ارتياده لمطلق حالم ، لا يعرف الصحو على غربها •• التشبيهات هنا قوية ، وجميلة !• أما السبك في القصيدة ، فهو قوي ، حسي ، معبر وجميل ••

القصائد الثلاث ، من وحي بلا ساسان مارتين ، للاستاذ جورج سالم سيف ، وهي في الحماسة ، والوطنية ، وهي « تمثال » ، و « سمفونية احلى » و « سمعته في وطني » ••

فقد هال الشاعر تمثال هذا البطل الاسباني ، فمجد جهاده ، ذاكرا بلاده ، وجهادها ، قال :

في عينيك أيها التمثال الاسمر
شيء من عندنا
خفق له قلبي
وسكب البسمة على **ثغري** ••

ويذكر أن هذا الشيء الحلو في عينيه ، والذي هو أحلى من النور ، من الحياة ، من الخلود ، من العذارى :

أنه الشيء الذي أحبه
الشيء الذي أعبده
أنه •• وطني !••

وفي قصيدة « سيمفونية احلى » ، يعود الشاعر الى تمجيد البطل ، والبطولة ، فيذكر بور سعيد ، وملحمة صحراء سيناء ، ويأمل في تحرير فلسطين :

أرضنا أيها البطل
تتلهف لموسم الحصاد
لسان لو رنسو جديدة
نحرق فيها الزؤان
وندوس الحشرات
هناك •• في روابي فلسطين
وتفجر سيمفونية أمل
تغنيها النجوم
ويرقص لها القمر ••

وفي قصيدة « سمعته في وطني » ، يخاطب الشاعر البطل ، فيقول :

صهيل جوادك الابيض
في ذرى الاندلس ،
يا محرر هذه الارض ،
سمعته في وطني ••

وذلك في أمسية من أماسي ميسلون ، أو في ضحى ٢٥ أيار ، أو في يوم الملعب البلدي ، أو يوم أسسنا الوحدة بين مصر ، وسورية على أنقاض جان بارت ، وبقايا المعتدين ••

صهيل جوادك الابيض
يا سان مارتين
أجمل نشيد على شفاه الخلود
وأروع لحن ، في خاطر التاريخ

لقد أجاد الاستاذ جورج سالم سيف حقا في قصائده الثلاث ، ان في موضوعها ، أو في اسلوبها •• فالموضوع فيها وطني ، عاطفي ، رقيق ، بديع •• والاسلوب سلس جزل ، وهي تجري على نمط شعري حديث ، هو المنثور الامر الذي جعلنا نؤمن أن للشعر الحديث انطلاقات جديدة نحو انماط حديثه ، بديعة ، على الخصوص الشعر المنثور فيها ، أحببناها ، ونحبها !!• فله شكرنا ، وتقديرنا والله الموفق ••

دمشق ـ عدنان ابن ذريل